هند الهلاوى

الأنثى والجلاد

رواية

صدرت الطبعة الأولى فى أكتوبر 2019

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	الأنثى والجلاد
المؤلف	هند الهلاوى
التصنيف	رواية
رقم الإيداع	20381 - 2019
الترقيم الدولي	978-977-977-6726-98-7
رقم الإصدارالداخلى	517 الطبعة الاولى أكتوبر 2019
عدد الصفحات	136 صفحة
تصميم الغلاف	مؤسسة النيل والفرات

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

ثورة مصرية تشرق إبداعاً على الوطن العربي

رئيس مجلس الإدارة

ناجى عبد المنعم

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

ALNILE WAALFOURAT

أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

رخصة مزاولة مهنة: 58365 – سجل تجاري: 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572

عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018

هاتف: 01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس: 020554372901

النيل والفرات nagyegy200064@gmail.com

alnilwaalfourat alnilwaalfourat@gmail.com

المقر الرئيسي: ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304

المقدمة

اعتقد الرجل أن الله قد جعل قوامة الأنثى فى يده، من أجل أن يقيدها فى وثاق الإنفاق عليها، هذه القوامة أفقدت المرأة العربية المسلمة حقوقها وضربت بها عرض الحائط ، فصارت جارية عند أخيها وأبيها وزوجها حتى أبنائها فى بعض الأحيان، بدعوى أن الرجل هو ولي أمرها وعليها خدمته ، وخدمة كل الأسرة، لكن لايجب علينا التوقف عند هذه الأعراف التى عملت على بث ظواهر غريبة ، وأفرزت أجيالا لا تقر بمكانة المرأة وأفضليتها ومساواتها بالرجل بما فضل الله ، لكن هل يظل هذا المفهوم راسخا في عقول الرجال؟ أن الرجل أفضل من المرأة، فى حين أن الله لم يفرق بينهما إلا بالتقوى والعمل الصالح، وقد ساوى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بينهما قائلا: (النساء شقائق الرجال).

هند الهلاوى

الأنثى والجلاد

بزغت شمس { أول خميس من شهر مارس لعام ألف وتسعمائة وستة وثمانين للميلاد} تحمل معها كل البهجة والأمل والمستقبل لفتاة لم تستمتع بطفولتها ولا تدرك أنها فتاة جميلة من حق من ينظر إلى جمالها الخلاب أن يفتن بها، ويجعله يتمنى أن يستحوذ عليها، يضعها فى خزانته، كأنه يقتنى ألماظة ثمينة بداخل خزانته ،أو عصفور جميل يقوم بسجنه داخل قفص من ذهب ، فكل مايرغب به من يراها لا يشغل تفكيرها للحظات ، فكل ما يشغل تفكيرها هو تخيلاتها وأحلامها ، وأهدافها ،

تخيلت ليلى أن هذا اليوم يحمل لها أخبارا يتوق لها فؤادها، جلست ليلى فوق سطح منزلها، وهى مثقلة بأعباء المنزل ، المبنى بالحجارة البيضاء ، يتكون من طابقين ، الطابق الأول به غرف المعيشة، مضيفة كبيرة لإستقبال الضيوف، حديقة يوجد بها بعض أشجار الفاكهة والزهور، والطابق الثانى يوجد به غرف النوم، يوجد فى سطوح المنزل صور وحظائر الطيور، جلست وسط الطيور، تستمتع بوجودها معهم لحبها الشديد لهم،

وحبها أيضا للحيوانات دون البشر !! ، جلست وخيالها هائم فى أحلام اليقظة، لم يتجاوز عمرها الخامسة عشرعام ، متمنية من الله أن يوفقها فى دراستها وأن تعتلى قمة الحياة العملية فلم تتوان لحظة فى تحقيق أحلامها بأن تصبح شخصية مرموقة ذات شأن مرموق فى البلد، ظلت هائمة فى بحور خيالها وأحلامها وتقمص الشخصيات المرموقة التى وصلت لها باعتبار ما سيكون ، فى ظل شرود روحها، سمعت صوتا عاليا يصيح عليها، فأفاقت من غيبوبتها وشرودها وهبطت روحها من السماء السبع حتى سابع أرض، كان صوت القضاء على أحلامها ومستقبلها، صوت أختها الصغرى، لقد وقفت تتلصص على والدتها وجارتهم، سمعت منهم بعضا من الكلمات التى تخص ليلى، فرحت لسماعها لهذه الكلمات، ظنت أن هذا الخبر سوف يسعد أختها، ذهبت مسرعة حتى تبلغها بهذا الخبر، وهي تصرخ بصوت عال، تقوم بالنداء على أختها ليلى بكل جوارحها، هبطت مسرعة وهى تعتقد أن شيئا ما قد حدث لأختها، وجدتها تصعد على المصعد لعدم صبرها أن تهبط إليها ليلى، لتبشرها وتفرحها مثلما سعدت وفرحت بهذا الخبر، عندما تقابلتا فى وسط المصعد وجدتها تبتسم وعيناها بها بريق من شدة السعادة، ووجنتاها تتراقصان من الضحكات، نظرت لها وهى حائرة وسألتها؟

- ليلى: مابك ياصغيرتى لقد فطرتي قلبى خوفا عليك وأنت الآن تضحكين وتمرحين !! فما يضحكك؟

- إلهام: نعم ياليلى أنا سعيدة جدا

- ليلى: لماذا؟

- إلهام: سوف أخبرك خبر سعيد.

- ليلى: ماهو هذا الخبر؟

تقول وهى ينتابها الفضول، تريد أن تعرف ماهو هذا الخبر الذى جعل أختها الصغرى تتراقص من شدة سعادتها فسألتها مرة ثانية

- قولي ماهو الخبر؟

- قالت إلهام: سمعت خالتك نوال تخطبك لإبنها أحمد،

قالت إلهام هذا الخبر ولم تلفظ بلفظ غيره، وجدت أنامل ليلى تهبط بكل قوتها على وجنتيها، كأنها قنبلة انفجرت فى وجهها، نظرت لها إلهام والدموع تتساقط من مقلتيها مثل شلالات ،

قالت إلهام بصوت مخنوق وروح ممزقة وخاطر مكسور

- ماذا فعلت بك ياأختى حتى تنهرينى هكذا؟.

نظرت لها ليلى، مستنكرة هذا الخبر ومستبعداه، تتمنى من داخلها ألا يكون حقيقيا، فهى بعد سماع هذا الخبر شعرت أن الأرض تهتز من تحت أقدامها، وأن السماء سوف تسقط فوق رأسها، تهدم كل أحلامها ومخططات مستقبلها، نظرت لأختها

ولم تنطق، لقد أصاب لسانها الخرس ، أصبحت بكماء، زاغ بصرها، أصابها دوار، كأنها على متن سفينه قد تغرقها بالبحر الغاضب، التفت بها الأرض كأنها أرجوحة تلف بها وتدور، لكن فى النهاية سوف تهبط منها مغشي عليها، وقفت لحظة لتستعيد قوتها، تستعيد روحها التى زهقت، تستعيد نفسها من جديد، هبطت من فوق المصعد بعدما صفعت أختها، ونحّتها جانبا حتى تفسح لها الطريق، دون أن تطيب خاطرها بحرف واحد.

ذهبت مسرعة إلى والدتها عزيزة التى تناهز الأربعين من عمرها ذات الملامح الشرقية، وجهها يميل إلى البياض، شعرها أسود به بعض الشعيرات البيضاء فى مقدمة الرأس ناعم الملمس، معتدلة القوام، متوسطة الطول، لتسألها عما أخبرتها

به أختها، وجدتها بمفردها تجلس على الأريكة، تضرب أخماسا فى أسداس، تحدث نفسها، خشيت ليلى أن تتحدث مع والدتها حتى لاتنهرها، تركتها وبداخلها ألف سؤال، لكن ليلى تفتقد لغة الحوار مع والدتها، تركتها وذهبت إلى غرفتها، بداخلها جرح ينزف ، طموحها محطم، آمالها مبعثرة، أحلامها تبدلت إلى كوابيس، أصبح بداخلها بركان من الغضب ،الأفكار السيئة تداهمها ، قامت بالدعاء إلى الله أن يرسل لها من يخمد هذا البركان ويقوم على طمأنتها، لكن من يكون هذا الملاك الذى يستطيع أن يخمد حمائم أفكار هذا البركان الذى تناثرت شظاياه بداخل وجدها؟.وبعد لحظات.

عاد والد ليلى من عمله، ذهب إلى غرفته لينتزع ملابسه ويتسبح ويتأهب لصلاته، أسرعت والدتها إليه واختلت به بعضا من الوقت، سمعت ليلى صوت والدها وهو ينهر والدتها، لكن لا تعلم لماذا يتشاجران، فابتسمت ليلى وظنتهم يتشاجران لرفض والدها لهذا الموضوع، بالفعل هبط الخبر على مسمع والدها كالصاعقة، لصغر سن ليلى ، لكنه لم يكن له خيار آخر غير الموافقة، وافق لإعتبارات كثيرة منها أن الزوج المنتظر لليلى ضابط جيش ومن عائلة مرموقة ، ظنا منه أنه يفعل الصواب،

لكنه لم يدرك عواقب هذا الخبر على نفسية وروح وجدان إبنته التى مازالت فى مرحلة المراهقة، بعد إنتهاء المشاجرة الزوجية بين والديها، خرجت عزيزة والدة ليلى من غرفتها وهى حزينة، تظهر ملامح الحزن على وجهها، الذى أصبح عابسا من هول ماحدث بينها وبين زوجها، توجهت إلى المطبخ لتعد له الطعام، كانت تمحو بيدها بقايا الدموع التى على وجنتيها.

نظرت ليلى من فتحة الباب وهى تتعجب لما يحدث، ظل الفضول ينهش وجدان ليلى، ترغب أن تعرف حقيقة ماقالته أختها إلهام لها ، بعدما انتابتها خيبة الأمل فى سماع ماحدث بين والديها.

عادت فارغة الكفين، عاودها القلق والتوتر خشية أن يكون ماأخبرتها به أختها حقيقة مؤكدة وليس أضغاث أحلام، لكن كيف تتأكد أن هذه المهاترات حقيقة أم مجرد خيال طفلة؟ فوضت أمرها إلى الله، مكثت فى غرفتها بمفردها، تارة تخلد للنوم وتارة أخرى تنهض وتسير فى إتجاه النافذة التى تطل على حديقة المنزل وتارة أخرى تخرج من غرفتها التى تتكون من سرير ومكتب وحافظة للملابس، مقعد مصنوع من الخشب به نقوش من الأرابيسك، مرآة موضوعة على تسريحة من الخشب بها

نفس النقوش التى على السرير و حافظه الملابس، وبعد أن هلك وجدها من التفكير والتوتر والقلق، جلست على أطراف السرير وألقت وجدها فوق السرير، أصبح نصفها الأسفل على الارض والنصف العلوى خالد للنوم، حضنت جفونها أهدابها، أغلقت بهم مقلتيها حتى تغرق نفسها فى النوم ليتوقف عقلها عن التفكير ويهدئ بعض الوقت، حتى تستطيع معاوده التفكير ومواجهة الموقف ما إن كان حقيقه أو لا، بالفعل خلدت ليلى وإستسلم وجدانها لنداء النوم، ذهبت فى عالم الأحلام وهى على هذا الوضع.

بعد ساعات دخل عليها والدها ليتحدث معها كعادته، وجدها على هذا الوضع فابتسم.

قال والدها: بصوت خافت إشتد عودك ومر بك العمر لتصبحين فتاة جميلة ومازلت على عادتك، عندما يغلبك النوم تخلدين له وأنت فى أى وضع كان، تتمتم شفتاه بهذه الكلمات وهو يرفع نصفها الأسفل داخل السرير، بسط عليها الغطاء فشعرت ليلى بلمسة والدها وهو يرفع قدمها، لكنها تظل حاضنة مقلتيها حتى لا تشعره أنه أيقظها.

بعد خروج والدها من الغرفة، فتحت مقلتيها فتساقطت الدموع على وجنتيها خلدت للنوم واحتضنت وسادتها بين ذراعيها، كأنها تغرق نفسها فى أحضان والدها لتطمئن أنها واقفة على شاطئ الأمان.

بعد مرور ساعات استيقظت ليلى من نومها، ذهبت مسرعة إلى غرفة والدها لكنها لم تعثر عليه، خرجت، سألت عليه والدتها.

قالت الأم: أنه ذهب ليجلس مع أصدقائه على المقهى الذى يوجد على شاطئ البحر، عادت إلى غرفتها حتى تذاكر دروسها لكنها كانت محبطة ومكسورة ومشوشة وفاقدة التركيز، هى لا تعلم ماذا يكتب لها القدر فى الغد، كل أحلامها وآمالها فى عداد الإنهيار، لكنها لم تستسلم لوساوسها، سرعان ما نبت بداخلها أمل جديد، أنها تستطيع أن تقنع والدها بعدم الموافقة، أنها قادرة على تحديد مصيرها، عادت للمذاكرة وبداخلها أمل جديد، عاد معها كل تفاؤلها وبهجتها للحياة وتشبثها بتحقيق ذاتها، لكن سرعان مازال كل هذا التفاؤل والثقة بالنفس، نبت بدلا منه الإحباط والحزن والقهر وعدم الأمان، عندما عاد والدها من

الخارج، وجدها جالسة على مكتبها تقوم بواجبات المدرسة، نظر لها وجلس على حافة السرير أمامها.

ظل ينظر إليها يريد أن يتحدث معها، لكنه لا يعرف من أين يبدأ الحديث، كيف يبلغها قراره فى قتل كل أحلامها وأمالها التى يعلمها جيدا.

نظرت له ليلى، قلبها يخفق بشدة ووجدها ترتعد من هول ما ستسمعه من والدها، لكنها كانت أشجع منه.

- قالت ليلى: أبي لماذا تنظر إلي هكذا؟

- قال الأب: أنظر إليك حتى أملي مقلتي من جمالك، لقد أصبحت عروسة ياطفلتى .

سمعت ليلى هذا الكلام وسقط قلبها أسفل قدميها.

- قالت ليلى: ماذا تقول؟ هل تعنى ما تقول؟

- قال الأب: نعم أعنى ما أقول،

ثم نـهض من مكانـه، ذهب إليها، أمسك بكتفيها، أوقفها وضمها إلى صدره حتى يشعرها بالإطمئنان والسكينة حين يبلغها بهذا الخبر المشؤم .

ليلى لم تشعر بشئ غير الخوف والرعب والحزن، تشعر أنـها وضعت بين نـهرين من النار، لا بين ذراعي والدها، وتضاربت مشاعرها، تشعر أيضا أنـها ألقت داخل البحر بكل قسوته وهياج أمواجه وظلمة أعماقه وملوحة ماءه، أن وجدها الآن مثل الغريق الذى تريد فرقة إنقاذ إنقاذه من الغرق، لكنـها لم تشعر بدفء حضن والدها ولا حنانـه ولا عطفه، هى شاردة بعقلها فيما ستسمع من والدها فى موضوع تحديد مصيرها، هى تسمع نبضات وخفقات قلب والدها تتسارع، كأنـها تستمع إلى معزوفة من عازف الإيقاع ، هو أيضا يخشى من وقوع الخبر على ليلى، لا يعلم كيفيتها لاستيعاب الخبر، هل تتقبله أم تنفر منـه ؟

وتجادله وتحاوره وتدخل معه فى حرب لإقناعه بالإقلاع عن هذا الموضوع، لكنه جمع كل ما تبقى عنده من قوة وعزيمة وقرر إطلاق القنبلة فى وجه ليلى دون مقدمات.

- قال الأب: حبيبتى لقد تقدم لى خطيب يرغب بالزواج منك.

- قالت ليلى: بعد أن نزعت نفسها من بين ذراعي والدها، مازلت صغيرة على هذا الحديث، بنات عمى وبنات جيراننا التى يناهز عمرهن العشرينات لم يتزوجوا بعد، أنا لا أرغب فى الزواج أنا أريد أن أتم دراستى، ألتحق بالجامعة، أصبح ذات شأن، يكون لى كيانى أولآ ثم أفكر فى ذلك الأمر.

- قال الأب: هذا قرارى ولن أتراجع عنه،

تركها وذهب دون أن تكمل حديثها معه، تركها وهى تبكى ويتمزق وجدها، تركها وهى تحدث نفسها، تقول لماذا وضع الله الأنثى تحت قوامة الرجال سواء إن كان أب أو أخ أوزوج أو إبن؟، أليست الأنثى قادرة على أن تتحمل نتيجة قراراتها؟ بعد حديثها هذا مع نفسها قامت بالإستغفار لله لأنها أخطأت عندما قالت لماذا فعل الله هذا بها، جففت دموعها التى تساقطت على وجنتيها، ذهبت للوضوء حتى تشرع فى صلاة ركعتين لله بنية فك الكرب، بعدها فوضت أمرها لله، حاولت أن

تؤهل نفسها أن تتحمل أصعب المواقف، هى لا تعترف بالفشل، عاهدت نفسها ألا تفشل فى حياتها مهما كانت صعبة، سألت نفسها هل تستوعب هذه الحياة الجديدة التى فرضت عليها، هل ستستسلم لقرار والدها؟ أم ستحاول أن تدافع عن كيانها ومستقبلها؟ راودتها نفسها أن تذهب إلى والدتها لتطلب منها المساعدة فى إقناع والدها.

- قالت الأم: أنت تعلمين والدك جيدا لا يقدر أحد أن يغير قراره أو يفرض عليه رأيه، حتى ولو كان صواب.

- ليلي : ألست من أبلغتيه هذا الخبر ،

- قالت الأم: نعم أنا ، كنت أقص عليه حديثى مع جارتنا فقط ، فنهرني ، وبعدها وافق على طلبها ،

تيقنت ليلى أن تغيير قرار والدها أمرمستحيل، قررت أن تفكر مرارا وتكرارا فى أن تجعل والدها يغير قراره بمحض إرادته، للأسف كل محاولاتها باءت بالفشل، بعد يأسها من حدوث المعجزات فى وقف الزواج، استسلم وجدها لمصيره المحتوم، بعدما إستسلمت {ليلى} للحياة التى فرضها عليها والدها بزواجها رغما عنها، إستسلمت لقدرها المحتوم، تقبلت

وأد روحها، فى أثناء تجهيزات الزفاف، أصيبت ليلى بحادث مروع كادت أن تزهق روحها فيه ، أخذها والدها إلى المشفى، ، أصيبت بكسور عديده بوجدها ، أجرت عملية فى القدم وزرع مفصل وشرائح ومسامير فى الذراعين ، فقد تهشم عظمها ، وبعد حدوث هذا الحادث ، نبت بداخلها أمل جديد، أن ربما فعل الله هذا الحادث حتى تنتزع مراسم زواجها،وبعد خروجها من غرفه العناية المركزة ، وضعت ليلى فى آخر غرفة من قسم العظام ، فى نفس الطابق الذي يوجد به قسم الحروق ، سمعت ليلى صراخ وأنين وبكاء بصوت عال .

- **قالت ليلى: للممرضة ما هذا الصراخ ومن التى تئن وتتألم هكذا؟**

- **قالت الممرضة: إنها فتاه قامت بحرق نفسها بعد أن زوجوها رغم إرادتها.**

بكت ليلى بكاء شديد وتخيلت نفسها فى نفس الوضع، لكن إيمانها بالله وقوة شخصيتها وإرادتها تمنعها من فعل هذا العمل المشين، بعد أيام من إجراء العملية، جاءت والدتها لزيارتها، جلست بجوارها تتحدث معها.

فأخبرتها أن الفتاة التى تصرخ وتئن من شدة آلامها وجراحها، وبعد لحظات دخلت الممرضة عليهم ، فسألتها عن هذه الفتاه ، التي تصرخ ، فأجابتها الممرضة وعرفتها بعائلتها ، فعلمت والدة ليلى أنها هى نفس الفتاة التى كانت تحب أحمد خطيب إبنتها وزوجها المستقبلى، وبكل جبروت وقسوة ،قامت الأم بوضع ليلى على مقعد متحرك ،وأخذها لرؤية تلك الفتاة المنكوبة بحجة أنها قريبتها، تظن أنها بذلك العمل تقوم بفعل الواجب، دخلت ليلى إلى غرفة تلك الفتاة التى تدعى عزة، نظرت لها، وجدت مظلة من الشاش الأبيض بداخلها وجدان شديد السواد، كأنها ذبيحة مسلوخة من شدة حروقها، وجدت رأسها سوداء ليس بها شعر، احترق الشعر الأصفر الحرير الذي كان يزين جبينها و يلامس ركبتيها، نظرت للوجه فوجدته ممحى معالمه من شدة الحروق وكثرة فقاقيع الماء التى توجد به فتجعله متضخم ، فتذكرت هذا الوجه الجميل ذو البشرة البيضاء والعيون الملونة بكل الألوان، وجنتيها التي تشبه لون التفاح، ونظرت إلى الجسد وجدته عاريا كما ولدتها أمها، أصبح الجسد الذى كان يشبه جسد الغزلان متضخم من كثرة الماء الذى بداخله ويوجد أسفل الجلد بعدالحرق، أصبحت عزة مثل الذبيحة التى تم سلخها، وقفت ليلى وهى تتحسر على تلك الفتاة، هى تعلم أن

هذه الفتاة هى نفسها التى كانت تعشق أحمد خطيبها، فنبت بداخلها أول بذور الكراهية لهذا الشاب الذى تخلى عن إنسانيته ورجولته ونخوته وترك حبيبته وجعلها فريسة سهلة يلتهمها اليأس والإكتئاب ، تزوجت من رجل غيره ليجعلها فريسة لوساوس الشيطان، حتى يجعل وجدها يهون عليها فتقوم بحرقه حتى تتخلص من عذاب حرمانها من هذا الحبيب الذى تسبب بقتل روحها، تراجعت ليلى إلى الخلف بعد مشاهدتها لهذا المنظر البشع، توجهت بمفردها إلى غرفتها وهى تستند على الحائط حتى لا تضع يدها فى يد والدتها التى وضعتها في هذا الموقف، شعرت بالغضب من والدتها لأنها أخذتها لرؤية عزة وهى تعلم أنها قامت بحرق نفسها من أجل أحمد، ما أصعب ذلك الشعور الذي ينتابك وأنت تشعر بنفسك أنك ظالم دون قصد ومظلوم بإرادة عائلتك ، وبدون أي إرادة منك تتسبب فى آلام وجرح مشاعر أحد من البشر، أن تكون سبب بدون أى ذنب منك فى عذاب فتاة بريئة كل ذنبها أنها سلمت قلبها لرجل لم يقدره، ظلت صورة عزة أمام ليلى طول الوقت، تشاهدها فى منامها و فى يقظتها وتشعر بعذاب الضمير، تعب ضمير ليلى من العذاب فى هذا الأوان فقد صادفت ليلى كم من المشاكل والأحداث وهى داخل هذا المشفى لا يتحملها عقل البشر، مع كل هذه الأحداث لم

تستسلم لما قدر لها، حاولت جاهدة على أن تمنع زواجها، لكن كل محاولاتها باءت بالفشل، وسرعان ما مرت الأيام وجاء يوم زفافها، إستسلمت لمشيئة القدر بعد محاولات عديدة منها حتى تفشل هذه العلاقة فى أول حدوثها، بعد محاولات من الأب وتعنته وصلابة رأيه ، تقبلت ليلى أن تسلم وجدها لمن كان سببا فى قتل فتاة بريئة، حملت نفسها مسؤلية قتل روحها هى الأخرى ، قامت بتسليم وجدها رغما عن إرادتها لمن يلتهمه دون شفقة ولا رحمة، بعدما أدركت أن كل محاولاتها باءت بالفشل، تيقنت أن هذه الحياة هى حياتها التي فرضها عليها القدر، قررت أن تتأقلم مع حياتها الجديدة وتزوجت وعاشت حياة منزوعة المشاعر والأحاسيس، مع علمها أن زوجها هو الآخر أجبر على الزواج منها من قبيل والدته، بعدما قامت برفض زوج أحمد من الفتاة التى أحبها وكانت تبادله نفس الحب، لكن ضعف شخصيته جعلته يستسلم ويوافق والدته على قرار الزواج من ليلى، قد تقبل جسدهما القتل، لكن روحيهما وعقليهما لم يتقبلا هذا الوضع الذي فرض عليهما، كل مافعلوه إكراما لهذا الجسد المسكين الذي تناثرت أشلاءه، أن يزرعوا السكينة بداخله فى سكون وعدم محاربته بأسلحة النفور، أن يجعلوا هذا الجسد يقاوم آلامه ويساعده على الإستمرار فى الحياة، تقبلوا أن يضعهم الجسد فى

جعبته الداخلية بين أضلاعه وثنايا قلبه، لوقت غير معلوم، ربما إلى آخر العمر.

تقبلت ليلى سوء الحظ لكنه لم يتقبلها، سرعان ماحمل رحمها نطفة من هذا الزوج الذي لم ترغب به يوما، فكان واقع خبر الحمل مثل واقع أخبرها بالزواج من رجل لا ترغبه ، مثل الصاعقة ، ولكنها تقبلت الحمل بكل ما أوتيت من قوة وصلابة ، وبعد وضعها لحملها ، وبعدما وقع نظرها لأول مره على طفلتها ، وجدت البراءة الملائكية ، فانبعث بداخلها عاطفة الأمومة وحنانها ،وتقبلت زوجها وتقبلت الحياه معه بصدر رحب ، فقرر زوجها السفر والإقامة بالقرب من عمله ، فسافرت ليلى مع زوجها إلى مدينة بوجة قبلى فى أول صعيد مصر، نقل سكنه وإقامته وعمله إلى هذه المنطقة، عاشت ليلى فى غربة داخل نفسها ووجدها وظلت روحها غريبة عن عائلتها وأصدقائها وأقاربها، تقبلت غربتها داخل نفسها وداخل هذه المدينة التى سوف تعيش بها مع رجل لا يربط بينهما غير ورقة تسمى قسيمة زواج، لكنها حاولت جاهدة أن تغير مشاعرها تجاهه وأن تصبح له الزوجة والأخت والأم وأن تصبح له السكن والسكينة، لكنه لم يساعدها على ذلك، دفن نفسه داخل شرنقة الذنب تجاه

حبيبته عزة تلك الفتاة المنكوبة، عاش مع ليلى جسد بلا روح هو الآخر، كل ما يربطه بها هو غريزة وشهوة إجبارية لكونها غريزة ربانية، لا يصحبها أى مشاعر ولا أحاسيس تجاه الطرفين، فهو يسعى لترويض وحش الغريزة بداخله لقتل كبرياء ليلى وأنوثتها التى لم تشعر بها قط معه، أصبحت ليلى تغتصب كلما نال منها زوجها باسم الشرع، أصبح وحش الغريزة يسيطر على وجدانه وكيانه سيطرة كلية، كلما يستيقظ هذا الوحش بداخله يشعل نيران الرغبة فيريد إخمادها، لم يجد أمامه غير وجدان ليلى.

فى يوم من الأيام استيقظ وحش الرغبة الجنسية بداخله، أراد أن ينال منها لكنها كانت متعبة ومنهكة فلم يقدر ذلك، ذهب للنيل منها فتمنعت لظروف خارجة عن إرادتها، غضب غضبا شديدا، تركها وذهب إلى الغرفة الثانية، ظل بها حتى الصباح، ظلت هى و طفلتها التى لايناهز عمرها السبعة أشهر، خلدت ليلى للنوم مع طفلتها حتى الصباح، هو مازال داخل غرفته الثانية.

استيقظت ليلى فى الصباح هبطت من السرير وتركت إبنتها عبير نائمة، ذهبت إلى المطبخ لتعد له الإفطار، عند إنتهائها من إعداد الإفطار سمعت عبير وهى تصيح وتنادى عليها، ذهبت

مسرعة خشية أن تنزلق من فوق السرير وتتأذى، حملتها بين ذراعيها وظلت تقبلها، أخذتها وذهبت إلى الغرفة التى مكث بها أحمد الليلة الماضية، فوجدته غارقا فى نومه، أرادت أن توقظه حتى يتناول إفطاره، شرد تفكيرها وراودتها نفسها أن تداعبه وتضع عبيرا بجواره حتى يشعر بحركاتها وهمساتها فيستيقظ ظنا منها أنها بذلك الموقف تقوم بإصلاح ما أفسدته معه من رفضها لإلتهام وجدها فاستيقظ بالفعل ولكنه استيقظ غاضبا منها والعصبية والنرفزه يسيطران على تفكيره، غاب تفكيره فدفع الطفلة بيده جانبا فكاد أن يوقعها من فوق السرير، طلب من ليلى أن تحمل عبير وتتركه، ظلت تراوغه وتعاكسه حتى يرضى عنها وتعتذر منه، لكنه نهرها وقام بصفعها على وجهها، فصعقت من هول ما حدث لها، أخذت طفلتها بين أحضانها وخرجت مسرعة وهى لا ترى أمامها ، خرجت من الغرفة وهى ممزقة الوجدان، شعرت ليلى بالإهانة فتناثرت كرامتها وكبرياؤها، دخلت غرفتها وجلست على حافة السرير، وضعت طفلتها داخل حضنها وظلت تبكى بكل ما أوتيت من قوة ، فدخل عليها الغرفة بعد كل ما حدث وطلب منها أن تنهض حتى تضع له الإفطار فنظرت له نظرة كلها عتاب، شعر بأنها تنظر له باحتقار، نهرها وأمرها ألا تنظر له هذه النظرة، لكنها لم تقدر على خفت مقلتيها عنه، تطاول

عليها بالصفعات وظل يصفعها على وجدها حتى سقطت مغشي عليها، انتهت هذه المشاجرة بالطلاق الرجعى، هى فى أول حياتها الزوجية، لم تستغل ليلى هذه الفرصة التى جاءت لها من عند الله لحل وثاقها بل ظلت أسيرة فكرة عدم الفشل، ظلت أسيرة لعهد قطعته على نفسها وهو ألا تفشل وألا تعود إلى والديها، لإعتقادها أنهما تخليا عنها عندما زوجاها وهى صغيرة.

بعد مرور أيام استيقظ وحش الغريزة عند أحمد فعاد حين ذلك لليلى وردها إلى عصمته دون الرجوع لأى مأذون ، وافقت ليلى للرجوع إليه مرة أخرى حتى تحافظ على منزلها من الدمار والإنهيار، ولم تفش سرها لأحد وتشكى زوجها لأى بشر حتى أقرب الأقربين لها وله، تعلمت الصمت وانكسر بداخلها أشياء وأشياء ولم يأت لها من يجبر كسرها، كان هذا الموقف بمثابة جرح كبير ظل ينزف ولم يجف نزيفه، تعلمت ليلى بعد هذا الموقف أن تدفن ليلى بداخل ليلى ولا تظهرها لأحد، تعلمت الإعتماد على النفس وعدم اللجوء لأحد فى أصعب المواقف حتى لزوجها، أصبح زوجها ممول مادى لتيسير أمورهم المادية وتيسيرات الحياة بالمنزل فقط ، هو لم يرهق نفسه بالتفكير ليجعل ليلى تحبه أو يحبها، مع إنها فائقة الجمال والأنوثة

الظاهرية والجاذبية وذات شخصية، لم ينظر إليها مطلقا بنظرة المحب أو العاشق ، بل هى بالنسبه له مجرد إمرأة، يرغبها حين يحتاج النيل منها، أم لأولاده، ليس لها الحق فى أن تكون بشر، مع كل هذه الظروف التى مرت بها ليلى فى أول حياتها إلا أنها تدرك جيدا أن أحمد له كل الحقوق الزوجية والإحترام والتقدير، لكنه بالنسبه لها مجرد زواج تقليدى لا يوجد به مشاعر ولا أحاسيس بالنسبة للطرفين، ظلت حياتها على هذا الوضع المميت، لكنها قررت عدم الإستسلام ،تشابهت الأيام والشهور التى تمرعليها وكأنها تسير على وتيرة واحدة وعلى نفس النمط، لكن سرعان ماحدث لها حدث آخر صاحب معه الحزن لقلبها، بعد مرور شهور من رحيلها، يشاء القدر أن يحمل رحمها نطفة أخرى، ففى خلال هذا الحمل ذاقت ليلى كل أنواع العذاب الروحى والجسدى من معاملة زوجها الذي أصابها بالركود والفتور العاطفى، فهو يعتقد أن واجب الزوج هو جلب المال للزوجة فقط، لم يعلم أن الله جعل قوامة الأنثى في يد الرجل للحفاظ عليها واحتواء وجدانها، بعد مرور شهور الحمل وضعت الطفلة الثانية، أدركت أن قدر الله أقوى من محاربتها لنفسها وللعالم حتى تقوم بفك قيود وثاقها للزوج الذى فرض عليها فى أسرع وقت، خمدت نيرانها، تمسكت بالحياة من أجل أطفالها،

حمدت ربها، ظنت أن الله أرسل هاتين الطفلتين حتى يعوضها قهر الأيام وظلم الزمان، يعطوها الأمان التى افتقدته بعد رحيلها من منزل والدها، من القرية التى نشأت وترعرعت فى ظل المناخ الملائم لشخصيتها، تعودت على طقوس، عادات وتقاليد هذه القرية، وبعد رحيلها تحملت غربتها ووحدتها، تعايشت مع الوضع الحالى ، قررت أن تتقبل حياتها مهما كانت صعوبتها، مرة أخرى من أجل طفلتيها ومن أجل إرضاء الله بأن تتقبل مشيئة الله وقدره، هو أعلم منها بكل ماهو خير لها، بالفعل حاولت للمرة الأخرى تقبل الحياة، استمرت وتحملت مسؤلية أطفالها وزوجها، تحملت أن تدفن أنوثتها داخل وجدها، أن تتقمص شخصية ذكورية، حتى تستطيع الحفاظ على منزلها وأطفالها وهى في ظل هذه الغربة، بالفعل أصبحت ليلى مسخا يحمل ملامح الأنوثة وطباع الرجولة، لاتعلم هل هى أنثى أم رجل، مع مرور الوقت ذهبت أنوثتها، أصبحت تتصرف بوجدها كأنها رجل يحمل كل معانى الرجولة من طباع وشخصية وجدية فى المعاملة مع الجنس الآخر حتى لا يطمع فيها الذى فى قلبه مرض، ظلت ليلى هكذا، مع مرور الوقت جفت أحاسيسها، بترت مشاعرها وأصبح وجدها وجد بلا روح بلا مشاعر بلا إحساس بلا حياة بلا قلب، لكنها لم تقدر على بتر عقلها من وجدها، ظل

العقل هو رفيقها وصديقها وونيسها تلجأ له عندما تحتاج مساعدتها، ظل العقل لليلى هو الصديق المخلص الوفى، الصديق الصدوق الذى يرشدها للصواب ويحذرها من الوقوع فى المخاطر، مرت عليها صدمات ومواقف كثيرة صعبة، لكن الله كان ينير لها الطريق ويمهده حتى تسير فيه بسلام، أنار الله لها بصيرتها، وزودها بالحكمة والمنطق والفطنة، علمتها الحياة ما لم تتعلمه فى منزل والدها والمدارس، نضج فكرها، أصبحت مزدوجة العمر كبيرة وصغيرة فى آن واحد، مرت السنوات، حياة ليلى لم يطرق عليها ما يغيرها، دفنت نفسها بين أضلع منزلها، جعلت بناتها هن وسيلة إسعادها، زاد الفتور بين أحمد وليلى، كل منهما دفن جراحه وأوجاعه بين ثناياه ولم يظهرها للأخر، أصبحت حياتهم حياة روتينية بحتة ولكنها حياة منظمة، كل منهما يؤدى واجبه الذى تعود عليه على أكمل وجه ، هو جلب المال فقط وهى المسئول الأول والأخير عن كل شيئ دون المساس بالروح والوجدان يمارسان حياتهما دون أى إحتواء، ينبع هذا الفتور من داخل الطرفين.

بعد مرور سنوات، عاد أحمد من العمل، فتح باب المنزل، وجد ليلى ترتدى ملابس شفافة تصف كل مابداخلها من وجدان،

أعدت له الطعام ووضعته على السفرة، البنات بداخل غرفتهم، بعدما أطعمتهم وتركتهم يلهون ويلعبون مع أنفسهم حتى لا يقومون بإزعاجه، كعادتها معه كلما عاد من عمله، ذهب إلى الغرفة ليبدل ملابسه، بعدها دخل ليتسبح وينزع كل تراب العمل عن وجده، خرج وجلسا معا يتناولان الطعام، وجدا المنزل يهتز ويتمايل يمينا ويسارا، ظنوا أن المنزل ينهار،

- **ليلى : أحمد المنزل ينهار ،البنات داخل الغرفه ، سوف أذهب لإحضارهما ،**

أحمد لم يفكر فى زوجته العاريه التي ترتدي ثوبا شفافا ، يظهر منه كل مفاتنها ،

فلم يتوان لحظة واحدة فى أن ينقذ نفسه من الموت دون أن يفكر فى زوجته وأطفاله، فتح الباب وخرج مسرعا وترك ليلى وبناتها بداخل المنزل الذي سوف ينهار وهم بداخله، قرر إنقاذ نفسه ولم يفكر لحظة واحدة أن يحمل طفلة بين ذراعيه ويترك الأخرى لليلى تحملها وتنقذها ذهبت ليلى إلى الغرفه ولم تقدر خطورة ما فعلته على حياتها ، فكل ما كان يشغل تفكيرها إنقاذ طفلتيها ، حملت ليلى الطفلتين على عاتقها وخرجت خلفه وهي

عارية حتى تنقذ أطفالها ولولا عنايه الله توقف المنزل ولم يهتز مرة ثانية، كاد أن يقفز من الطابق الثالث ومحل إقامته ، فى بناية مكونة من أربع طوابق كل طابق مكون من أربع وحدات سكنية ، كل وحده مكونه من غرفتين نوم واحده للزوجين والأخرى للأطفال وحمام ومطبخ وصاله وتراس ، قرر القفز بمفرده من نافذة المصعد حتى ينقذ نفسه من الموت الحتمى تحت الأنقاض ظنا منه أنه بذلك سوف تتهشم عظام قدمه أو ذراعه فقط، ولكنها بعدما شعرت بثبات البناية صرخت ،

- قالت ليلى: ارجع يا أحمد لا تقفز لقد توقف المنزل، لا تلقى بنفسك،

رجع أحمد ولم ينظر إلى ليلى وهى تحمل أطفاله، ويقف بجوارها جيرانها الرجال والسيدات ، فكان كل منهما لا ينظر للآخر مثل يوم القيامة يوم الحشر ، كل إمرىء ينظر لنفسه فقط ولا ينظر لمن بجواره وكيف يرتدي ،

بعد هذا الحادث علمت ليلى أن هذه الهزة الأرضية كانت زلزال أصاب البلاد {عام الف وتسعمائة واثنين وتسعين}، لكن لم يمر هذا الموقف على ليلى مرور الكرام، فزادها نفورها من

هذا الرجل الأنانى الذى لايفكر إلا بنفسه، وإزداد نزيف جراحها وآلامها، تأكدت أنها توجد بمفردها فى هذه الحياة، برغم صغر سنها تعلمت أن تعتمد على نفسها فى حماية نفسها وأسرتها وأطفالها، أدركت فى ذلك الحين أنها سوف تكمل حياتها بمفردها، يكفيها وجود زوجها فى حياتها حماية لها ولجمالها من طمع الطامعين ومن لهيب ألسنة البشر. وبعد هذا الحادث بأسابيع ،

فى يوم عاد فيه أحمد من العمل مبكرا وسعيد لأنه تم ترقيته من نقيب إلى رتبه رائد ، فإستغلت ليلى هذه الفرصة و ترجت أحمد ،أن يبحث لها عن سكن آخر لعدم شعورها بالأمان من هذا المبنى بعد الزلزال فهى لا تشعر بالسكينة والإطمئنان، لم يعترض وتقبل الفكرة، بالفعل تحدث مع صديق له يقيم فى نفس المدينة، طلب منه أن يجد له سكنا مناسبا له ولأسرته، بالفعل ذهب صديقه محمود الذى يناهز عمره الخامسة والثلاثين، ذو بشرة سمراء، شعر مجعد بنى، عيون عسلية، معتدل القوام، ذهب محمود لعمه، عمدة القرية التى تبعد عن مقرعملهم بمسافة بضع كيلو مترات، لا تأخذ من الوقت بضع دقائق ،

لوصول أحمد إلى عمله بالسيارة المكلفة له من قبل مؤسسة العمل.

العمده حمدان كان يناهز الستين عاما وزوجته وهيبة التى تناهز عمرها الخمسين عاما، لم يرزقهما الله بالذرية، هما يقيمان فى دوار العمدة بمفردهما ليس معهما غير الخفر المكلفين من مؤسسة الشرطة بالعمل مع العمدة، الخفر هم سليمان وعمره ثلاثون عاما، محمدين أربعون عاما، حسنين خمسون عاما، زوجاتهم يتراوح أعمارهن ما بين الثلاثين والأربعين اللاتى تقوم بمساعدة زوجة العمدة فى عمل المنزل، جلس العمدة حمدان على الأريكة فى المضيفة، ذهبت له زوجته وهيبة لتستشيره فى شئ يخص المنزل، وجدت العمدة شاردا، إنتابها الفضول لمعرفة سبب شروده، لم تتوان عن سؤاله؟

- قالت وهيبة: ماذا بك ياعمدة بماذا يشرد عقلك كل هذا الشرود؟

- قال العمدة حمدان: لا شي ياوهيبة، لماذا أتيت إلى هنا؟، ألم تستطيعى الصبر حتى أعود إلى المنزل؟

- قالت وهيبة: لا الخفير حسنين مريض وأم محمد زوجته محتاجة مبلغ من المال حتى تذهب به إلى الطبيب.

- قال العمدة: أليس بحوزتك ما تعطيها لها حتى أعود؟

- قالت وهيبة: كل ما كان بحوزتى أعطيته لجارتنا سعدية لتأتى بشوار إبنتها، أنت تعلم أنهم لن يستطيعون شوارها لضيق حالهم .

- قال العمدة: جزاك الله خيرا.

- قالت وهيبة: بقولك إيه متشغلنيش عن معرفة سبب شرودك عندما دخلت عليك، هل أنت مريض؟ ما الشئ الذى يعكر صفوك؟

- قال العمدة: لا شئ مهم.

- قالت وهيبة: قص علي مابك لعل الله يجعلنى سببا فى التخفيف عنك.

- قال العمدة: محمود ابن أخى كلفنى أن أجد مسكنا لصديقه أحمد هو وزوجته.

- قالت وهيبة: ماذا فى الأمر هذا أمر سهل جدا عليك.

- قال العمدة: يقول محمود أن زوجة صديقه جميلة جدا وصغيرة فى السن وعندها طفلتين، أنت تعلمين أن لهما مركزا حساسا، من المحتمل غياب زوجها عن المنزل لظروف عمله ، ومن المفترض أن يقضى يوما أو يومين فى عمله بحكم منصبه فى الجيش فهو ضابط جيش، لا يملك من أمره شيئا أنا أخشى عليها من المكوث بمفردها فى منزلها بالقرية، أنت تعلمين جيدا ما أعنيه، عاداتنا وتقاليدنا فى الصعيد غير عادات وتقاليد سكان الحضر، وجه بحري له عادات وتقاليد أخرى تختلف عن عاداتنا وتقاليدنا.

- قالت وهيبة: نعم معك حق ولكن هل نتركه يقيم بمفرده مع زوجته فى منزل بالقريه ؟

- قال العمدة: لا طبعا.

- قالت وهيبة: عندى وجهة نظر، هل تأخذ بها؟

- قال العمدة: تحدثى، ماهو رأيك؟

- قالت وهيبة: مارأيك أن نأتى بهم ليقيمون فى المنزل الخلفى للدوار الذى أمتلكه من فضلة خيرك ، الذى يطل على البحر.

- قال العمدة: كيف ذلك؟ هذا المنزل منزلك أنت.

- قالت وهيبة: نعم، أنا مقيمة معك فى الدوار ونحن لم يرزقنا الله بالولد ولا بالبنت، نتخذهما مثل أولادنا حتى يغادرون القرية، تمكث هذه الصبية هنا تحت رعايتك وتحت جناحك وفى حما يتك.

- قال العمدة: نعم الرأي، سوف أبلغ محمود هذا الرأي وأطلب منه أن أراهم أولا، قبل أن أوافق على إقامتهم معنا.

بالفعل بلغ العمدة محمود برغبته فى رؤية أحمد وزوجته وأطفاله.

ذهب محمود إلى أحمد وأبلغه برغبة عمه العمدة.

- قال محمود: عمي يريد أن تتناول معه وجبه الغداء في منزله أنت وزوجتك وبناتك.

- قال أحمد: هل تأتى معنا؟

- قال محمود: نعم سوف أنتظرك أنا وزوجتى وأبنائى إسلام ومؤمن، هم فى عمر أطفالك وسوف يمرحون معا.

- قال أحمد: حسنا سوف أبلغ ليلى بهذه الخبر فسوف تسعد بها، هى من يوم أن أتينا إلى الصعيد وهى لم تتعامل مع أحد، أنا أريد أن تتعرف على زوجتك لعل وعسى تتخذها صديقة لها.

- قال محمود: لا أظن فزوجتك حدودية وتعشق العزله ، لا تريد أن تدخل أحد حياتها .

- قال أحمد: بالعكس ليلى إجتماعية، لكنها متعنتة وحادة الطباع.

- قال محمود: نعم، هل تعلم يا أحمد أننى عندما أتحدث معها أخشى منها وكأنها القائد عندنا فى الوحدة.

- قال أحمد: نعم هى هكذا فعلا، لكنى أحاول أن أخرجها من ثوب الرجال التى ترتديه وأجعلها ترتدى ثوب الأنثى الذي فقدته مع مرور الأيام.

- قال محمود: هل تسمح لى بسؤال بصفتى صديقك المقرب ورفيق دربك.

- قال أحمد: تفضل فهل تستأذن فى السؤال؟

- قال محمود: نعم أستأذن لأنه سؤال خاص جدا.

- قال أحمد: تفضل إسأل.

- قال محمود: لماذا يظهر الحزن على ملامح ليلى حتى وهى تبتسم، لماذا كلما تحدثت معها أشعر بالدموع متحجرة بين أهدابها، بسمتها حزينة هل هى مريضة؟ هل بينكم مشاكل؟

- قال أحمد: نحن نسكن فى منزل واحد لكن نفتقد السكينة ، كل منا مع نفسه ومع حاله ، هى عنيدة ومغرورة ومتكبرة، لا تقتنع بحديث أحد غير نفسها وعقلها وبما أن عقلها يرشدها على الثواب فهى تتقمص شخصية الرجال ،.

- قال محمود: لماذا لم تحاول أن تحتويها وتروضها؟ هى مثل النمرة المتمردة ولكنها جميلة كلها أنوثة.

- أحمد: هه هه هه هه أنوثة، هى لا تعلم شئ عن الأنوثة، أشعر أنى تزوجت رجل مثلى.

- محمود: لا، بل هى أمرأة تحمل كل معانى الأنوثة، لكنها تكبتها بداخلها وتدفنها داخل وجدانها لكن لماذا لا أعلم.

- أحمد: هل تعلم ياصديقى أنى أعلم جيدا أن كل رجل تقع مقلتيه على ليلى يعشقها ويتمنى أن تكون ملكا له، لكنهم ينظرون لوجدها من الخارج، لو نظروا لها من داخلها فسوف يجدونها جثة هامدة، أنا أعانى معها ومع شخصيتها وأسلوبها فى تعاملاتها مع الأخرين، لا ترغب بالحديث مع أحد لا ترغب بالإختلاط، أنت تعلم أنها تفرض علي ألا أستقبل أى أحد من زملائنا فى منزلى، تقول أنت وصديقك على المقهى، لا يدخل أحد غريب منزلى.

- محمود: لماذا إذن تريد أن تذهب إلى القرية لتقيم بها؟

- أحمد: تقول أنها لا تشعر بالأمان فى هذا المسكن، من وقت الزلزال.

- محمود: حسنا، تحدث معها وأبلغها أنكم فى ضيافتنا عند عمى العمدة يوم الجمعة المقبلة.

- أحمد: حسنا يا صديقى سوف أبلغها، أستودعك الله.

- محمود: وأنت فى وديعته.

ترك محمود أحمد وشرد تفكيره، ظل يفكر فى كل كلمة تحدث معه بها، فى تخيله أن أحمد لا يصدقه القول، أنه يتحدث على ليلى بهذا الإسلوب ويزيد بالحديث خشية منه عليها أو غيرة على زوجته من صديقه، ذهب أحمد إلى المنزل، وجد ليلى تجلس على الأريكة وتشاهد التلفزيون، جلس بجوارها ليتحدث معها فى شأن الإستضافه التى عرضها عليه صديقه محمود.

- قال أحمد: ليلى أغلقى التلفزيون أريد أن أتحدث معك.

- قالت ليلى: أنا أريد أن أكمل الفيلم لآخره وسوف أتحدث معك بعد إنتهاء الفيلم، هو أوشك على الإنتهاء.

- قال أحمد: أقول لك أغلقى التلفزيون سوف أغلقه بنفسى.

- قالت ليلى: لماذا أغلقته أنا منتظره هذا الفيلم من سبعة أيام.

- قال أحمد: فيلم إيه ولا فيلم ولا كلام فارغ.

- قالت ليلى: كلام فارغ، إنه فيلم الشيماء أخت الرسول "صلى الله عليه وسلم".

- قال أحمد: ياستى عليه أفضل الصلاة والسلام، ممكن تسمعينى، لو سمحت، أسمعينى أولا وبعدها إفعلى ما يحلو لك.

- قالت ليلى: نعم تحدث قل ما عندك.

- قال أحمد: محمود صديقى وزوجته وعمه عمدة القرية المجاورة يرغبون أن نذهب إليهم يوم الجمعة، نقضى معهم اليوم كله، أنا وافقت.

- قالت ليلى: وبما أنك وافقت وقبلت الإستضافه، لماذا تخبرنى؟

- قال أحمد: أخبرك حتى تستعدى لزيارتهم.

- **قالت ليلى: حسنا سوف أفعل، هل من الممكن أن تتركنى أشاهد بقية الفيلم.**

- **قال أحمد: نعم أتركك وأذهب لأخلد للنوم سلام.**

- **قالت ليلى: سلام.**

بعدما تركها أحمد قامت وفتحت التلفزيون، لتكمل المشاهدة، مقلتاها تنظران للتلفزيون ،وعقلها شارد فى التفكير بشأنها وحياتها

، حدثتها روحها، تمتمت شفاهها بهذه الكلمات.

- **أحزان فى قلوبنا تنهش أحشائنا كما السرطان، كخطوط على الجدران يأكلها غبار الثرى، عيوننا تراقب بحزن مشيئة القدر، ظلمتنا الحياة، جعلتنا ننادى بأوجاعنا وآلامنا ولا ندرك كلمة الآه، يوجد بداخلنا الأحزان ولا ننوه عنها حتى نحافظ على ما تبقى من الكبرياء، هل نتحدث عما نعانيه أم نترك على أكتافنا الأحمال، بداخلنا أسرارا مثل أسرار البحار، ظلمات مثل ظلمات الأعماق، طلاسم لا يعرف من يفكها غير الله الواحد القهار، آه ياليلى آه، لقد أكل الزمان من وجدانك وكبرك قبل أوانك،**

تنهدت تنهيدة تناثرت منها حمائم البركان، عادت للمشاهدة ،فوجدت كلمة النهاية على شاشة التلفزيون، ندمت على شرود تفكيرها ولم تركز فى الفيلم، أغلقت التلفزيون وبداخلها حزن عميق، ذهبت إلى غرفة نومها، وجدت أحمد جالس فى تراس الغرفة ولم يخلد للنوم.

أتت بالمقعد الأخر وجلست أمامه، وظلت صامتة، نظر لها مرارا وتكرارا حتى تناقشه فى موضوع ما ، ويتبادلان الحديث، بعد أن يأس من أن تتحدث معه، حاول أن يبدأ الحديث معها فسألها.

- أحمد: لماذا حزنك طول الوقت؟، لم أسمع ضحكتك مثل كل النساء، هل يوجد ما ينغص عليك صفو حياتك؟.

- قالت ليلى: لماذا جئت الآن لتسألنى؟، نحن متزوجان من سنوات وأنت لا يهمك الأمر ولا يستهويك.

- قال أحمد: لأن الموضوع زاد عن حده، وبدأ أصدقائى يلاحظون حزنك ويسألوننى عنه.

- قالت ليلى: أمرك غريب والله!، هل لاحظ حزنى أصدقائك وأنت لم تلحظه؟.

- **قال أحمد: أنا مشغول فى عملى من أجل جلب المال.**

- **قالت ليلى: وأنا لا أريد مالا، ليست السعادة فى كثرة المال، وإنما السعادة بكثرة الحب والعطف والحنان والإحتواء والتفاهم بين الزوجين**

- **قال أحمد: هذا كلام إنشاء لا يغنى ولا يثمر من جوع، الرجال قوامون على النساء.**

- **قالت ليلى: عندما أستفزها هذا الحديث، تحدثت معه بعصبية، هل تعلم ما هى القوامة وما معناها؟.**

- **قال أحمد بكل إستهزاء: لا لم أعرف،عرفينى.**

- **قالت ليلى: لو لم أكن أريد إصلح هذا المنزل، لتركتك وذهبت للنوم، لكن قبل أن أذهب سوف أخبرك، ما معنى القوامة؟، القوامة ليست مصطلح يمر مرار الكرام على مسمعنا، ليست إنفاق الزوج فقط، القوامة هي أن يقوم القيم بكل مصالح المرأة، المصالح المادية والمعنوية.**

- **قال أحمد: هههههههههههه المادية وفهمنها ولكن المعنوية كيف أستوعبها؟.**

- **قالت ليلى: هل تعلم أنك مستفز، لكن سأقول لك ما معنى المصالح المعنوية، هقولها لك لوجه الله تعالى، عسى الله أن ينير بصيرتك، المصالح المعنوية: الحب، الحنان، العطف، الاحتواء، المرأة لا تحتاج المال فقط ليعينها على قسوة الحياة، تحتاج أيضا الإحتواء، بمعنى أن يحتوى الرجل زوجته ويحتوى وجدها بكل ما فيه من مشاعر وأحاسيس، أن يحتوى غضبها قبل سعادتها، أن يطبطب عليها عند تعبها، أن يجفف دموعها وهى تبكى، يحتضنها وهى خائفة أن يصبح لها السكن والسكينة، المرأة خلقت من ضلع أعوج، إذا أقمته كسرته، فقوة المرأة فى ضعفها، نعم إن الله عز وجل جعل القوامة فى يد الرجل لحكمة يعلمها، ولكن هل جعلها فى يد الرجل لضعف المرأة؟، لا فالمرأة تتحمل الألم أكثر من الرجل، الدليل على ذلك مخاض الوضع، هل يتحمل الرجل هذا الألم؟، المرأه ليست ضعيفة ولكن الله فضل الرجل عليها فى القوامة لعدة أسباب من وجهة نظرى، أولها: الإحتواء أن يحتوي روحها قبل وجدها فإن إحتوى روحها، إمتلك وجدها وكيانها بكل ما فيه من مشاعر وأحاسيس وقلب وحب وحنان وعطف.**

- والثانى: الإنفاق وهذا ليس مهما، لأنه إذا إمتلك كيانها، تحملت معه الفقر وقلة المال، بالعكس سوف تساعده على تحمل المعيشة وتساعده فى عمله بكل حب وتفانى وأن تبذل كل جهدها على ألا تشعره بفقره، وإن لم يفعل ذلك ويحتويها أولا وجاء لها بمثل كنوز الأرض عشرات المرات، سوف تشعره أنه مقصر وأنه فقير، لا يملأ مقلتيها، هذه هى الأنثى، تريد الحب لا التكبر والقسوة، تريد العطف لا التعنت والغرور والعنجهية الكاذبة تريد الإحتواء لا المال، المال وسيلة لإسعاد الحياة لاغاية للحياة، تقول ليلى هذا الكلام دون توقف، تقول له بكل جوارحها ودموع مقلتيها، تقول له وهى تنزف دما، وأحمد يسمعها بكل برود، يسعى جاهدا لمقاطعتها حتى لا يسمعها وهى تتفلسف، مثلما قال لها هذه فلسفة لا تغنى ولا تثمر من جوع، نظرت له ليلى نظرة سخرية وإحتقار وتركته ونهضت وهى تتمزق من داخلها لعدم إستيعاب أحمد لكلامها، قررت فى نفسها ألا تعاود المناقشة معه مرة ثانية، ذهبت ليلى إلى النوم وهى تئن وينزف قلبها وتتناثر روحها، تأكدت أن أمر التفاهم بينهما مستحيل، قررت الرجوع إلى وحدتها وعزلتها بعدما كانت على

إستعداد للخروج منها، لو أعطاها أحمد الفرصة، لم يساعدها أن تكن له لا تكن عليه، مرت الأيام على ليلى متشابه الملامح والمواقف والأحداث إلى أن جاء يوم الجمعة، ذهبت معه إلى القرية.

- قالت ليلى: لاأريد أن أمكث كثيرا عند العمدة، أنا لن أعرف أتعامل معهم ولا أستطيع الحديث معهم.

- قال أحمد: ماذا يعنى ذلك ياسمو الأميرة.

- قالت ليلى: لو سمحت تحدث معى بدون إستهزاء.

- قال أحمد: أنا لم أستهزئ بك، لكن حاولى أن تتأقلمى مع البشر.

- قالت ليلى: أنت كرهتنى فى كل البشر.

- أحمد: ههههههههههههههههههههههههههههههه.

- قالت ليلى: هل تضحك!، تضحك على إنسانة تشاركت فى قتلها أنت وعئلتها.

- قال أحمد: هل نعود إلى الفلسفة مرة أخرى.

- قالت ليلى: لا أخرى ولا أولى، هيا حتى لا نضيع الوقت، أريد أن أعود بسرعة.

بالفعل أسرع أحمد السيارة، بعد وصولهم إلى دوار العمدة، وجدوا كل من فى الدوار على مشارف إستقبالهم، تصنعت ليلى السعادة، ورسمت البسمة على وجهها المضيئ، سلمت على من يستقبلها بكل سعادة وبكل حفاوة مصطنعة، لكن حدث شئ غير متوقع لليلى، غيرها من داخلها وحول حزنها وقلقها وتوترها إلى سعادة بالغة وليس لها حدود.

بعدما وضعت ليلى يدها فى يد كل الموجودين وسلمت عليهم، وذهبت لتسلم على الحاجة وهيبة زوجة العمدة، وجدتها تبسط لها ذراعيها وتحتضنها بكل قوة وإحتواء وحنان وعطف، أحست ليلى أنها بين أحضان أم حقيقية، ظلت فى ذلك الحضن بضع دقائق حتى بكت، كأنها تشكى لها كم كانت مشتاقة لهذا الحضن الحنون، لكن سبحان الله مثلما وضع هذا الشعور فى حنايا قلب ليلى وضعه فى ثنايا قلب الحاجة وهيبة، بالفعل أحست أنها تحتضن إبنتها التى لم تنجبها، وتمنت من الله أن تكون ليلى إبنتها، هدوء ليلى، ملامحها البريئة الجميلة، أسلوبها الراقى يعطيها كل الحق فى من ينظر إليها يحبها، ويتمناها إبنة له،

وضع الله نفس المشاعر داخل قلب العمدة عندما وجد زوجته تحتضنها بعمق ووجد قطرات الندى تتلألأ بين أهدابها ، ولا ترغب بتركها، استشعر أنها تحتضن إبنتها التى لم تنجبها، بعد حفاوة السلام والعناق والترحيب، ذهب العمدة بهم إلى المضيفة، لكن ليس العجيب فى الأمر أن أحمد ومحمود تركاها وذهبا ليشاهدا معالم البلد السياحية والريفية والبحر والسواقى التى تدور بقوة دفع المياه والطاحونة التى بالقرية، القرية بها بعض المعالم السياحية وبعض من الأثار، لكنها مع تحفظها السابق على الزيارة، وعدم رغبتها فى أن تمكث طويلا معهم، إلا أن المكان إحتضنها واحتواها وأحست أنها فى منزل والدها، أرسل الله لها السعادة من حيث لا تعلم، كما تعودت أن ترسل السعادة لمن حولها، أخذت الحاجة وهيبة ليلى وتجولت داخل الدوار لتشاهد كل ركن به، عند وصولهم الباب الخلفى للدوار أدخلتها، وجعلتها تشاهد المنزل الخلفى الذى يطل على النهر وبه حديقة على ضفة النهر ومصعد إلى النهر، وجدت المنزل فائق الجمال وذا مناظر خلابة، تمنت بداخلها أن تقيم فى هذا المنزل، لكن حياؤها منعها أن تفصح عن رغبتها هذه، لكن الحاجة وهيبة نظرت واستشعرت شغف ليلى للمنزل، لكنها تماسكت ولم تعرض عليها الإقامة معهم، ظلت أن تنتظر قرار العمدة، بعد لحظات

طلبت الحاجة وهيبة من ليلى ان يغادروا هذا المنزل وأن يذهبوا إلى الدوار، حيث العمدة والخفر وزوجة محمود ليساعدوها على إعداد الطعام، ولكن ليلى لم ترغب أن تترك المكان ولكنها لم تستطيع على أن ترفض المغادرة، بالفعل ذهبت ليلى مع الحاجة وهيبة وكانت شغوفة أن تعود إلى هذا المنزل ماره أخرى ، وبالفعل تركت ليلى المنزل وتركت كيانها وروحها بين جدران ذلك المنزل ، بعد الوصول الى المضيفة، جلست شارده متناثره الأفكار تريد أن تجمع أفكارها حتى تعثر على وسيله تبلغها مناها ومتغاها فى الحصول على ذلك المنزل ، وبعدما ذهبت إلى الدوار ظلت شارده ، كل ما فى المنزل يتحدثون معها وهى صامته وكأنها فى عالم آخر ، و بعدما أعدت زوجات الخفر الطعام، عاد أحمد ومحمود من الخارج، وجدوا ليلى شاردة، يحدثها فلا تجيب،

- قال أحمد: مابها؟هل أغضبها شيئ ما ؟
- قالت نفيسه: زوجة محمود لا لم يزعجها أحد،

فزوجتك من وقت أن عادت هى وخالتى وهى شاردة هكذا، نحدثها فلا تجيب ، كلنا قمنا بسؤالها ولم تقل شئ، من الواضح أنها لم ترغب فى البقاء معنا.

- **قال محمود: أصمتى أنت ألم تتعلمين كيف تتحدثين .**

فصمتت نفيسه ولم تتحدث ونظرت إلى أسفل ، وظهر على وجهه علامات الخجل والغضب وظلت تمتم بكلمات ليست مفهومة

فنظرت إليها ليلى وشعرت بقهرها وكسر خاطرها وإحراجها أمام الموجودين، فلم تستطع الصمت ، وقهر أنثى وإرغامها على الصمت لكونها إمرأه ضعيفة لا حول لها ولا قوه ، تجرأت

- **وقالت ليلى له بكل غضب : وحضرتك ، ألم تتعلم كيف تتحدث مع زوجتك أمام البشر، منهم من يحب ومنهم من يكره ، هى لم تخطىء بالحديث، كل ما قالته صدق،**

ذهبت ليلى إلى نفيسة حتى تطيب خاطرها واحتضنتها وقبلتها، وقالت لها والله يا أختى لم أرغب قط بالذهاب من هنا ولو خيرتمونى لبقيت معكم ما حييت، فرحت نفيسة جدا بليلى وأحبتها كثيرا بعدما كانت تنظر لها على أنها مغرورة ومتكبرة،

ظنت أنها تتعالى عليها، اعتذرت نفيسة من ليلى وقبلتها، طلبت منها أن تسامحها.

- **قالت نفيسة: بكل تلقائية، وعفويه ، على رأى المثل اللى ما يعرفك يجهلك،**

ضحكت ليلى وقامت لتساعد نفيسة فى إعداد الطعام، وجدت الحاجة وهيبة أن الدوار عمت فيه البهجة والسعادة والفرح والحيوية، تمنت أن يوافق العمدة بإقامتهم معهم فى نفس المنزل، نظرت الحاجه وهيبة إلى العمدة، كأنها تتوسل له أن يوافق على إعطائهم المنزل، فاستوعب العمدة لغة عيون زوجته فروحيهما متعلقة ببعضهما البعض ويفهم أحدهما الآخر من النظرة، بالفعل طلب العمدة من أحمد أن يقيم معهم هو وزوجته وبناته فى المنزل الخلفى للدوار، فرح محمود ونفيسة والحاجة وهيبة فرحا شديدا، لكن ليلى مكثت مكانها ولم تقو قدماها على أن تحملها من سعادتها وهى تسمع هذا الكلام،ولم تستطع الحديث فقد إنتابتها هيستيرية الضحك والبكاء والصراخ فى آن واحد، لم تصدق نفسها أنها سوف تقيم في هذا المكان الذى يشبه قطعة من الجنةأخذتها الحاجة وهيبة بين ذراعيها وإحتضنتها لتهدئ من روعها، طلبت

منها أن تذهب معها هى ونفيسة لتعد معها كل التجهيزات، كى يقومون بنقل كل أثاث منزلها إلى المنزل الجديد، انتابت ليلى حالة من الفرح الشديد، وكأنها ولدت من جديد فى أحضان أم تحبها وأب يرعاها وطفلتيها، وجدت طفلتيها الجدود والونيس، وجدوا كل ما يتمنوه من حديقة يلهون ويلعبون بها، وجدوا الجد والجدة، وجدوا الحب والحنان والعطف الذى يفتقدونه فى ظل منزلهم القديم الذى لا يوجد به غير موت المشاعر والأحاسيس، صمت الحوار، المشاكل، جفاء الوجدان، رطوبة المشاعر، برودة الأحاسيس، ركود الأيام، كانت الأيام تمر على ليلى كأنها عقود من الزمان، صمت المنزل يشعرها وكأنه قبر،فسرعان ما أبدت ليلى موافقتها، وكأنها لا تريد أن تذهب إلى منزلها القديم مرة أخرى،

تتمنى أن يذهب كل البشر ليجلبوا لها أثاث منزلها و تظل هي مع الحاجة وهيبة، بالفعل أمر العمدة الخفر وإبن أخيه محمود بأخذ السيارات لنقل جميع محتويات المنزل من أثاث ومنقولات إلى دوار العمدة ، إلى المنزل الجديد، فى خلال ساعات أصبحت ليلى تقيم فى منزلها الجديد، مع أم وأب يحبونها مثل إبنتهم، شعرت ليلى أن الحياة كادت أن تبتسم لها، تركت

التفكير فى معاملة زوجها لها وركزت فى أطفالها، أصبحت تسعى جاهدة فى أن تكون إبنة بارة بالحاجة وهيبة وزوجها العمدة، معاملتهم الطيبة شغلتها عن كل شئ حتى عن نفسها، جعلتهم في مقام والديها وأكثر بالفعل ، فعلت ليلى كل ما فعلته مع والديها من اهتمام ورعاية وحب، مما جعل العمدة وزوجته يتخذونها إبنه لهما ، فهما مقدران غربتها عن عائلتها، لم يشعروها بالغربة يوم واحد، كل أحلامها محققة دون أن تفشي بها، كل تخيلاتها مجابة من قبل أن تفصح عنها، أصبح كل ما تتمناه فى متناول يدها وتحت أمرها، كأنها بالفعل إبنة العمدة، حتى الحاجة وهيبة لا تهنأ بطعام أو شراب أو أى شئ إلا وليلى معها، كان يوم ليلى هكذا فى الصباح تذهب الحاجة وهيبة وهى تحمل الفطار هى وزوجة أى خفير لتفطر مع ليلى وتأخذ معها كل ما لذ وطاب من وجبة الإفطار من لبن وقشطة وفطير وخبز يسمى بتاو وجبن وعسل، وبعد الإفطار تصطحب الطفلتين عبير وعلياء كأنهما أحفادهما بالفعل، تترك ليلى حتى تدبر أمور منزلها ، فلا ترسلهما لها إلا عند الليل حتى لا يزعجونها، بعد عودتهما تأخذهم ليلى إلى الحمام لتهتم بنظافة جسدهما وتبديل ملابسهما للنوم، يذهبا إلى غرفتهما حتى يخلدا للنوم، بمجرد طرحهما على السرير يخلدان للنوم من كثرة إراهقهما أثناء

اللهو واللعب مع جدتهما الحاجة وهيبة، تجلس وهيبه مع ليلى حتى صلاة العشاء، يعود أحمد من الخارج، تتركها الحاجة وهيبة وتذهب إلى دوار العمدة،

إعتاد محمود التردد على دوار العمدة من حين إلى لآخر فى أوقات متفاوتة ، بدون إبداء أي أسباب للزياره، فزيارة عمه أمر واجب ، لم تهتم ليلى له، ولا لزياراته المتكررة، لا يشغل تفكيرها هذا التصرف، هو مجرد رجل ليس لها أى تعامل معه لا من قريب ولا من بعيد، بعد مرور شهور، محمود يزداد تعلقا بعمه وزوجته، أصبح أكثر من إبن لهما، يرعاهما ويرعى شئونهما على غير العادة ، كثرت أسباب حضوره إلى منزل عمه بمفرده دون زوجته، محاولاته أن تقع مقلتيه على طيف ليلى حتى ولو من بعيد، حتى ولو لم يتحدث معها، كان يكفيه أن ينظر إليها وهى تسير بالحديقة، فى يدها كتاب تقرأ فيه.

فى يوم وجدها فى الحديقة جالسة مع زوجة عمه، ذهب حتى يسلم على زوجة عمه ويشاهد ليلى عن قرب، لم يراع أنه متزوج ومعه أطفال وأن ليلى زوجة لصديقه، نهش التفكير عقله، أصبح لا يفكر فى شئ آخر ، فعقله أصبح أسيرا ليلى.

لم يعد يستطيع السيطرة على كلامه ولا تصرفاته ولا نظراته، أصبح يفتعل أسبابا لزيارات عمه حتى يتشبع نفسه وروحه من النظر إلى ليلى، أصبحت ليلى مثل الماء والهواء لوجده الذى يذبل يوم بعد يوم ، فالتفكير فى ليلى ، أصبح مثل الوحش الكاسر الذى ينهش قلبه وعقله من حرمانه منها ، لكن ليلى لا تهتم لكل التصرفات ولا النظرات، هى من الأساس لا تفهم معناها، لأنها لم تشعر نفسها بأنوثتها، تتعامل على إنها جماد منزوع المشاعر والأحاسيس، كل ما يفعله محمود من إهتمام وتودد لليلى حتى يكسب ثقتها ويجعلها تتحدث معه أو على الأقل تبادله نفس النظرات، كل هذه الأفعال لا قيمة لها عند ليلى، عندها مبادئ وقيم وأخلاق نشأت عليها، كانت عندما تجده قادم إليها تترك المكان وتبتعد أو تذهب إلى منزلها حتى يرحل.

تمر الأيام والشهور وبعد مرور سنوات على مكوث ليلى مع العمدة وزوجته فى منزلها الذى تتمثل ملحقاته بثلاث غرف نوم وصالة كبيرة وحمام ومطبخ وحديقة خلابة، كما اعتادت ليلى على الجلوس فى مكان ما بحديقة منزلها، حيث الماء والهواء والزهور والأشجار على ضفة النهر تشعر ليلى أن النهر يشق

حقول العمده إلى نصفين النصف المقابل للمنزل حقول ومزارع القصب الذي يمتلكه العمده ، نفس المكان التى تعودت ليلى أن تأوى إليه بعد إقامتها فى هذا المنزل، حقول العمدة وحدائقه، يوجد به المناظر الخلابة، التي تساعدها على التأمل والعزلة، يشعرها هذا المكان بنشوة ومتعة وسعادة بالغه لم تشعر بها وهى وسط البشر، فى ظل هذا المناخ الجميل استطاعت ليلى أن تجتاز أزمتها وتعود لنفسها ولو لبعض الوقت، لكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، فى يوم قرر محمود التحدث مع ليلى بأى شكل وفى أى مكان، ليفصح لها عن ما يكنه لها من عشق ورغبه فى أن تبادله نفس العشق، أصبح عشقه مثل الوحش الذى ينهش وجدانه، خرج من عمله بعدما تأكد أن أحمد صديقه لم يذهب إلى منزله فى هذه الليلة، مكلف أحمد من قبل القائد بأن ينوب عنه فى وحدات الجيش ويمسك قيادتها، أصر محمود على الذهاب إلى منزل عمه حتى يبحث عن فرصة مناسبة تجعله يتحدث مع ليلى ويعبر لها عما بداخله حتى تنطفئ حمائم البركان التي بقلبه، فغموض ليلى وأنوثتها وجمالها ومنطق حديثها وبريق عيناها وجاذبيتها جعلته لا يفكر فى سواها، أصبح يتعامل مع زوجته كأنه جسد بلا روح، يتحاشى المساس بوجدها ، أصبح وجده يشمئز عندما تداعبه أو تلاطفه من أجل أخذ حقها

الشرعي ، أصبحت روحه وقلبه مأثورين فى سجن ليلى، ذهب إلى أحمد ليبلغه أنه سوف يذهب إلى عمه بعدما يفرغ من عمله مباشرة، لرغبته بالتحدث معه فى شئ هام، طلب أحمد منه بكل سذاجة وبرود أعصاب أن يذهب إلى زوجته ليبلغها أنه سوف يبقى هذه الليلة فى عمله وسوف يعود فى نفس معاد الغد، سعيد محمود لهذا الطلب، وجد أنها فرصة ،قد أتت له بدون أى مجهود منه للتحدث مع ليلى، بالفعل ذهب محمود من الباب الخلفى للدوار بعدما قابل عمه وقال له أنه يريد أن يبلغ مدام ليلى رسالة من زوجها أحمد، وافق العمدة على أن يذهب معه الخفير حسنين وزوجته، تردد محمود وقال لعمه لماذا الخفير ياعمى، سوف أعطيها الرسالة وأذهب إلى حال سبيلى مباشرة.

- قال العمدة: لا يصح ياولدى ليس من الأصول أن تختلى مع الصبية بمفردك، حتى لا تحرج منك ، ولا وتشعر بالأمان وأنت تحدث معها

فاستسلم محمود لأمر عمه بعد عدت محاولات للفرار منه ، ذهب محمود وهو غاضب، يسأل نفسه كيف أحدثها عما بداخلى فى ظل وجود الخفير وزوجته، طلب من الخفير أن يذهب لشراء علبة سجائر ويأخذ باقى النقود له على أن يعود

مسرعا، وافق الخفير وهو مطمئن أن زوجته سوف تذهب إلى الست ليلى تجلس معها حتى يذهب الأستاذ محمود من عندها، فرح محمود لموافقة الخفير، ذهب هو زوجة الخفير إلى ليلى، وجدها فى الحديقة فى نفس المكان التى إعتادت على الجلوس فيه، حين إلتفتت ووجدت محمود يتجه نحوها نهضت من المقعد، ذهبت مسرعه هى الأخرى لمقابلته حتى تعرف منه لماذا أتى إلى منزلها بمفرده دون زوجها وزوجته، تنظر له ويظهر على ملامح وجهها علامات الدهشة والإستغراب والتعجب ، وتسأل نفسها ، مالذي جرأ هذا الرجل على الذهاب إليها بمفرده ، بعدما إقتربت منه قامت بسؤاله مباشرة دون الترحيب به؟

- قالت ليلى: لماذا أتيت إلى هنا بمفردك؟

- قال محمود: معى زوجة الخفير ألن ترحبى بى فى منزلك أولا وبعدها تسألينى لماذا أتيت.

- قالت ليلى: ألست صعيدي؟ تعلم أنه لا يجوز الدخول إلى منازل الرجال دون وجودهم فيها، تقول هذا الكلام وهى غاضبة جدا.

- قال محمود: إهدئى ياليلى جئت لك برسالة من أحمد، الرسالة هى أنه سوف يقضى اليوم فى عمله وسوف يأتى غدا.

- قالت ليلى: حسنا لقد سمعت رسالتك تفضل بعد إذنك بدون مطرود.

- قال محمود: لا لن أغادر حتى أتحدث معك فى شئ مهم جدا.

- قالت ليلى: أين أم سيد زوجة حسنين الخفير رأيتها تدخل معك؟

- قال محمود: نعم كانت معى، أمرتها أن تعد لى كوب من الشاى.

- قالت ليلى: حضرتك تعى ما تفعله، هذا جنون.

- قال محمود: نعم أعي وأنت لم تترك لى سبيل أخر.

- قالت ليلى:إذا سوف أترك لك هذا المكان وأذهب إلى حال سبيلى.

- قال محمود: لو تحركت خطوة واحدة دون أن تسمعينى سوف أقتل نفسى بهذه السلاح أمامك حالا، سوف أفعلها حتى أستريح من عذاب نفسى.

- قالت ليلى: ساتركك إفعل ما تشاء هذه نفسك وجسدك، لكنه بالفعل سحب سلاحه الميرى من جيبه ووضعه على رأسه وظل يتوسل لها أن تسمعه ولو لمرة واحدة.

نادت ليلى على زوجة الخفير، جاءت ومعها الشاى، أمرتها أن تجلس بجوارها ولا تبتعد عنها وتبقى فى الحديقة حتى يشرب الكابتن محمود الشاى ويذهب، بالفعل وضعت الشاى فوق المنضدة، وضع محمود السلاح فى جيبه وذهبا معا تحت برجيله الياسمين وشجر الفل حيث المقعد الذي تعودت ليلى الجلوس به ، جلس ليشرب الشاى، جلست ليلى على المقعد الأخر، حاول الإقتراب بالمقعد حتى يصبح بالقرب منها محمود، أمرته أن يبتعد عنها وأن يتحدث بسرعة فيما يريد ويذهب، جلست زوجة الخفير على مرمى البصر، لكن فى مكان لا تستطيع سماع شئ هكذا أمرها الكابتن محمود، بالفعل جلس محمود وظل يتحدث معها بلغة العيون ولغة الشفاه ونبراته

الحالمة الهادئة التى تحمل الشجن والحب والحنان، حتى يجعلها تشعر بما يعانيه من حبها، ويجعلها تشعر بما يكنه لها فى ثنايا قلبه، لكنها فى ذلك الوقت كانت تعلم بما فى داخله لها من حديثه وتودد، كانت تتعمد تجاهله، لم تظهر له أنها على علم بما يكنه لها، حتى تقتل بداخله أى أمل فى الحصول عليها، تظاهرت بتجاهل حديثه وأظهرت له جمودها، وحدة طبعها ونفورها من هذا الحديث، مع هذا كله لم يتوقف عن الحديث، فقد عقله وسيطرت عليه مشاعره سيطرة كاملة، كانت كل أمنياته فى الحياة، أن يلمس كفها وتتغلغل أنامله أناملها، تخيل وشرد عقله لبضعة ثوانى، بدون أى شعور خارج عن إرادته ثم مد يده حتى يلمس يدها عنوة رغما عن إرادتها، بالفعل أمسك بيدها، نهضت مندفعة وسحبت يدها من يده عنوة وإلتفتت يمينا ويسارا حتى تعرف هل رآهما أحد وبالأخص زوجة الخفير، قامت بصفعه على وجنتيه بعدما تأكدت أن لا أحد شهد هذا المشهد، فعلت هذا به حتى تجعله يفيق من شروده وأن تخبره أنها على إستعداد أن تفعل أى شئ حتى ولو كان القتل، ذلك لتحافظ على كرامتها وشموخها وسمعتها وشرفها وشرف زوجها حتى ولو كانت تكن لزوجها الكره، صعقه هذا الفعل الذى لم يتوقع حدوثه، لكنه ذهب مسرعا بعدما شعر بالإهانة، بعدما وجدها تستطيع مهاجمته

وكأنها قطة متوحشة، خشية أيضآ أن تتصرف تصرف أهوج وترفع صوتها وتفعل له فضيحة وهو الرجل الوقور ذو منصب عال ووجاهة وأصل وعائلة كبيرة، لكن ما فعلته ليلى زاده بها تعلقا وعشقا، لم يقدر على أن يتخلى عن عشقه لها، لم ينته الأمر عند ذلك الموقف، ظل محمود يتردد على كل مكان تذهب إليه ليلى حتى يراها من بعيد لبعيد، عشق ليلى سيطر على وجدانه، أصبح لا يفكر إلا بها ولا يهفو قلبه لأحد غيرها، لكنها كانت تراه وتشعر بوجوده فى المكان حتى وإن كان لا يظهر لها نفسه، وجدت ليلى أن إقامتها فى هذا المنزل سوف تجلب لها المشاكل، أنها من المحتمل ورغما عن إرادتها سوف تفكر بمن يعشقها ، خشية أن يتعلق قلبها بمحمود بطريقة أخرى طريق أنثى محرومة من الحب والعطف والإحتواء والحنان والمشاعر والأحاسيس، قررت العودة لبلدها هروبا من نفسها وهروبا من وحش الغريزة الذى بدأ يستيقظ بداخلها، هى فى ذلك الوقت كانت فى العشرينات من عمرها، جميله وكلها جاذبية وأنوثتها كانت طاغية، لكن كرامتها وكبريائها وشموخها وغرورها وتربيتها الدينية كانت أقوى من كل شئ، بالفعل قررت وصممت على العودة إلى بلدها دون ذكر أسباب وبدون خسائر، كان السبب المنطقى عندها هو أن طفلتيها على مشارف دخول

المدرسة، وهى تريد أن تقيدهم فى المدارس المجاورة لمنزلهم فى بلدتهم، لكن وقع خبر عودة ليلى وبناتها على العمدة وزوجته كان واقعا مريرا وصعب تحمله، هم تعودوا على وجودها وحبها وحنانها وعطفها عليهم، لكن ما باليد حيلة، قدم العمدة لها كل الإغراءات ووعدها أنه سوف يقيد البنات فى مدارس بالمدينة، أنهم سوف يذهبون بسيارة خاصة والخفير سوف يصطحبهم فى الذهاب والعودة حتى تطمئن عليهم، لكنها لم توافق صممت على الرحيل ، ووعدتهم أنها سوف تعود لزيارتهم من وقت لأخر، بالفعل شاع خبر سفرها فى الدوار وعند القرويين لصغر حجم القرية، كل أهالي القرية يحبونها، لحبها لهم وعطفها وحنانها عليهم، وصل الخبر إلى محمود أن ليلى سوف تغادر القرية، حزن حزنا شديدا، أهمل عمله وأصبحت حالته يرثى لها، علمت ليلى بوضعه الحالى قبل سفرها، لم ترغب في رؤيته خشية أن يكون قد أصابها ما أصابه من عاطفة، كذبت إحساسها ومشاعرها وكذبت نفسها، إدعت لنفسها أنها لا تكون لمحمود أى عاطفة حتى ولو كانت شفقة، بالفعل سافرت ليلى وزوجها إلي بلدها، لم تلتفت إلى الماضى، لم تفكر قط بمحمود ولا لحظة واحدة، تركته يعانى حبها ووحدته بدونها، لم تفكر غير بالعمدة والحاجة وهيبة التى إفتقدتهم

كثيرا، بعد مرور عدة سنوات توفت الحاجه وهيبه وبعدها بشهور توفى العمدة حزنا عليها من فرط حبه لها فكانت تربطهما علاقة حب وتفاهم وعشق وحسن العشرة، كانت كلما نظرت ليلى إليهما وهما فى قمة التفاهم والحب والحنان والعطف الذى يظهرانه لبعضهما البعض برغم أنهما ريفيان وصعايدة ولهم عادات وتقاليد، تمنت من داخلها أن تكون مثلهما، لكن كل شئ بقدر الله، له فى ذلك حكمة.

بعد مرور عدة سنوات من عودتها كبرت الطفلتان وأصبحتا فى سن يؤهلهما لدخول المرحلة الإعدادية، لكن بعد رحيلها من القريه التى قضت بها بضع سنوات من عمرها فى سعادة واحتواء من أهل القرية فى ظل هذه السنوات لم تشعر أنها بمفردها فى هذه القرية لما وجدته هناك، شعرت ليلى أنها رجعت من السعادة إلى التعاسة ومن الأمان والإستقرار إلى غدرالزمان، من الأمل إلى اليأس، أصبح هدف إستمراريتها فى الحياة هو بناتها، مرت بضع سنين وليلى سعيدة ببناتها عبير وعلياء، كثرة مشاحنات ومشاكل وكثر الشجار بين ليلى وأحمد ولم يتوقف وفى ظل كل هذه المأساة الزوجية ، إشتهى أحمد أن يكون عنده الصبى مثله مثل كل الرجال، حتى يخلد إسمه، بعد مرور الوقت

طلب من ليلى أن تنجب مجددا حتى تأتى له بالصبى ، لكنها رفضت ، لعدم إستقرارها النفسى والعائلي ، ظل يقهرها وإزدات قسوته عليها، هى صامدة لا تشتكى منه قط لعائلتها ، لاحبا فيه ولكن لعزلتها عنهم ومقاطعتها لوالديها بعد زواجها منه، عقاب منها لهما لإرغامها على هذا الزواج، قررت ليلى أن تتحمل صعوبة الحياة وخطورتها، بعد معارك ضارية كادت أن تذهب ضحيتها ابنتيها عبيروعلياء، قررت أن تحمل فى رحمها جمرة من بركان ظهر هذا الزوج المتعنت القاسي القلب ، بالفعل حمل رحمها نطفة الصبى، إكتمل نموه بعد معاناة شديدة داخل رحم ليلى، بعد إكتمال النمو جاءها مخاض الوضع، وضعت ليلى الصبى، استقبله أحمد بكل الحفاوة والسعادة والفرح، كأنه لم ينجب غيره، أطلق عليه إسم محمد، وبعد مرور سبعة أشهر من مجيئ محمد مرض محمد بدون أى مقدمات ولا أى إشارة مرض محمد ليوم واحد أصيب بحرارة شديدة وقئ لم يتوقف وإسهال لم يتوقف، ذهبت به إلى الطبيب.

- قال الطبيب: أنه مصاب بجفاف حاد،

لكن أى مرض هذا الذى يؤدى إلى الموت فى يوم واحد، حزنت حزنا شديدا على فقدان صغيرها وفلذة كبدها، الأطفال

ليس لهم ذنبا وأصابها مرض نفسى من كثرة قساوة الدنيا عليها وأصبحت فريسة لتعاطى المهدئات والحبوب المنومة وزهدت الحياة، لكن هناك فتاتان محتاجين أمّا قوية وصلبة حتى تخطوا بهما من المهالك وتصل بهما الى طريق الأمان وتحافظ عليهما من غدر الزمان، قاومت مرضها ونهضت مرة أخرى، لكنه لم يتركها تهنأ مع صغيرتيها، عاود الإلحاح عليها حتى تأتى له بصبى عوض عما فقده، هو لم يتعلم الدرس الذى أراد الله أن يعطيه له وهو{الله له ماأخذ وله ماأعطى وكل شئ عنده بأجل مسمى فإصبر واحتسب} ولم يدرك أن هذا الدرس هو {إن أراد الله شيئا أن يقول له كن فيكون} فقد أعطاه الله الصبى وبعد أن كبر شهورا وتعلق به أخذه منه عقابا من الله على عدم رضا نفسه بما وهبه الله من ذرية، نسى أن الله تعالى قال {بسم الله الرحمن الرحيم " لله ملك السماوات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير"}، عاد لما كان عليه من قسوة وإذلال منه لليلى وبناتها، برغم علمه من الطبيب أن ليلى مصابة بمرض فى رحمها من الممكن أن يؤدى بها إلى الموت، لكن هذه المرة لم تقدر ليلى على المقاومة فوافقت

على طلبه، لكن مشيئة الله غلبت كيده، تعرض رحم ليلى ورفض أن يحمل مالا طاقة لها به ومرض وكأنه يقول لها لا تخشى غير الله، تحملت مرضها وقهرها ومسئوليتها التى تحملها على عاتقها تجاه هاتين الفتاتين الصغيرتين اللاتى ليس لهما ذنبا غير أنهما جاءا إلى الحياة، نهضت ليلى وتحاملت على نفسها وجسدها وقاومت الظروف مرة أخرى، قررت أن تنجح فى تحملها لمسئولية تربية الفتيات، تنقذهم من اليم وتصل بهم إلى شاطئ الأمان، وأرادت ألا تفشل فهى لا تحتمل الفشل، وهبت حياتها لخدمة أطفالها ومساعدة كل من يحتاج مساعدتها، لقوة شخصيتها وحكمتها التى نشأت عليها، قررت أن تهب الحب والسعادة والإحتواء لكل من يحتاج منها شيئا مع الإحتفاظ بكرامتها وسمعتها وشرفها، ظلت على هذا الوضع سنوات، لكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن . مره أخرى،

في يوم من الأيام حضر أحمد من العمل، وجد ليلى تتألم وتتناثر أشلائها من شدت الألم ويفيض الدمع من مقلتيها وشعرها المنساب على كتفيها يتناثر وتمزقه بأناملها من شدة الألم، هى تشعر بتمزق أحشائها.

- قال أحمد بدم بارد: مابك؟

- قالت ليلى: أشعر بألم شديد أسفل البطن، هذا الألم لا أتحمله، أريد أن أذهب إلى الطبيب.

أحمد بإستخفاف وفتور عادي، لم يكترث لحالها فتركها تتألم وذهب إلى غرفته ليبدل ملابسه، ذهبت خلفه ليلى وهى تبكى بكاء يحرك الجماد، مع كل هذا الموقف الحزين المؤلم لم يحرك ساكنا ألمها ووجعها وحزنها وجرحها.

- قالت ليلى: أريد الذهاب إلى الطبيب، نظر إليها، نظرة إستغراب، كأنه يقول لها هل فقدت نظرك وصوابك .

- قال أحمد: ألم تجديننى مجهدا؟ وأريد أن أتناول قسط من الراحة، وبعدها أذهب معك إلى الطبيب.

- قالت ليلى وهى تتألم وينفطر قلبها من شدة الحزن على حالها، ووقفت تتحسر على جمالها الذى ذبل وقفت أمام المرأة وهى تحدث نفسها وتبكى، لاتبكى من شدة الألم بقدر مايبكيها موقف زوجها، وإستهانته بألمها ومرضها وبكاءها، قامت بارتداء عبائتها السوداء ووضعت على رأسها شال، ذهبت إلى أقرب صيدلية،

لتشترى منها دواء مسكنا، حتى يهدأ ألمها، بعد أن هدأت آلامها وهدأ روعها، ذهبت إلى شاطئ البحر وجلست وشرد تفكيرها إلى النهر الذى في قريتها ، وجدت للنهر بداية ونهاية، شعرت بحزن شديد فخشيت على نفسها من أن يكون لألمها وحزنها بداية ولا يوجد له نهاية، لكن سرعان ما حلق نظرها نحو قرص الشمس ذى اللون الوردى فى وقت الغروب، وجدته يغوص داخل جوف البحر ليختفى ليستعد أن يولد من جديد فى بلاد أخرى، أنه سوف يعود من غربته فى اليوم التالى، وجدت أن لكل شئ بداية ونهاية، نظرت بمقلتيها الزرقاوين مثل السماء، حدقت بالماء وصفائه وموج البحر الهادئ وبمداعبة الهواء والرياح للمياه التى تجعله يصطدم بالصخور فى حنان وكأنه يحتضن الصخور ، ويشغل ليلى الصخور وصمودها، تنظر للصخور وهى تصطدم بها قوة دفع المياه الهادئة ، تزلزل كيانها وكأنها أمواج عاتيه ، كل هذه التخيلات تخطر بخاطرها ولكنها صامدة راسخة، لم يتحرك ساكنها تدفق الماء فوق قدها ليطفئ نيران وجدها ، وجدت نفسها مثل هذا النهر بصفاء مياهه وهدوء أمواجه وغموض أعماقه وصمود صخوره، قررت أن

تتحدى العالم كله حتى تخرج نفسها من الشرنقة التى وضعها بها والدها بعقد زواج قانونى.

بعد غروب الشمس وجدت أن روحها سكنت بداخلها وهدأ روعها نبت بداخلها أمل، يشعرها بالإطمئنان، بعد أن أوشك الظلام نهضت من فوق صخرتها التى تشاركها آلامها وأوجاعها عادت إلى المنزل من جديد حتى تكمل مسيرة الحياة التى فرضت عليها، دخلت مباشرة إلى غرفة بناتها، إحتضنت طفولتهما لتستمد من براءتهما القوة، خرجت من الغرفة وبداخلها رضى وأمل وصمود على تحمل مرارة الأيام وتحمل قسوة زوجها، ذهبت إلى غرفتها فوجدته غارقا فى نومه، لم يشعر بدخولها الغرفة، وقفت أمام المرأة ونظرت لنفسها، وقفت تتحسر على شعرها الذى تساقط من الهموم وقوامها النحيف بعدما كان ممشوق القوام وعيناها الساحرتان اللتان ذبلتا من كثرة البكاء بعدما كان بداخلهم بريقا يجعلهما تلمعان من شدة الذكاء، تنهدت تنهيدة شقت صدرها، بعدها نزعت ملابسها، كأنها تنزع عنها همومها وحزنها، ذهبت إلى المطبخ لتعد له العشاء لتقدمه له عندما يستيقظ من نومه، بعدما إستيقظ صاح على ليلى بصوت عالى وكأنها جارية عنده، لتعد له الحمام ليتسبح ثم

يتناول طعامه لأنه تذكر أن عنده موعد مع صديقه على المقهى، غاب عن ذهنه أنها كانت تتألم وأنها كنت مريضة، لم يتذكر مطلقا أنه خلد للنوم وتركها تصارع الألم، ذهبت وأعدت له ما طلبه منها، بعد أن انتهى من حمامه وطعامه إرتدى ملابسه وذهب دون أن يسألها عن حالها ومرضها وشأنها، هى أيضا لم تتوقع منه السؤال أو الإطمئنان عليها فهو يعشق وجدها حين يرغب النيل منه، ويكره روحها وصمودها فى آن واحد، يعشق جسدها ويكره عندها، وصلابتها، وتكبرها، وغرورها وعدم إنحنائها له، أصبحت بالنسبة له مجرد جسد جميل بلاروح ولا مشاعر ولا إحساس، تركها وذهب ليكمل سهرته خارج المنزل، أما هي ذهبت تجر خيبة الأمل حتى تكمل عملها اليومي، تذاكر لابنتيها، تهتم بهما، تداعبهما حتى يخلدا للنوم، بعد أن خلدا للنوم ذهبت إلى غرفتها، ألقت بجسدها المنهك على المخدع ممزقة شاردة وروحها متناثرة ومنهكة، خلدت للنوم بثيابها التى ظلت طول اليوم تعمل بها، لم تستطع تبديل ملابسها وأخذ حمامها المعتاد عليه قبل النوم.

بعد مرور ساعات أوشك آذان الفجر، عاد أحمد من الخارج، وجدها جثة هامدة ملقاة على سريرها، نظر لها فوجدها فريسة

يجب إلتهامها فقرر إلتهام ما تبقى من وجدانها، ذهب ليطفئ نيران شوقه ورغبته وهى غارقة بنومها، كل مايهمه هو أن يلتهم كبرياءها وينتزع منها كرامتها، لكنها استيقظت من أول ماشعرت بأنامله تتجول على وجدها فهى تشعر بلمساته كأنه ملمس الشوك وأنفاسه مثل حمائم البركان وهمساته مثل همسات الشيطان، تركته يلتهم وجدها دون أدنى مقاومة منها فيقلبها يمينا ويسارا، وهى حاضنة لآلامها وأوجاعها بين أهدابها ويذرف الدمع من وجنتيها شلالات ، لم يشعر بها وهي تذرف الدموع من وجنتيها وتنهمر مثل قطرات المطر فوق وسادتها ويغلى دماؤها مثل الماء الذى يغلى فوق جمر النار، ظلت أهدابها حاضنة مقلتيها حتى انتهى من التهامها، استدارت ورفعت أهدابها وفتحت عينيها لتنظر لأنوثتها التى تغتصب كل يوم باسم الشرع، ظلت ليلى على هذا الوضع سنين بمرضها الذي لم تعرفه ووأوجاعها وشرودها وهى تظل تتحدى الظروف.

بعد مرور سنوات، لم يتغير شئ فكل شئ يبقى كما هو عليه، لكن عندما فاض بها الكيل ذهبت لأحمد.

- قالت ليلى: أريد أن أتحدث معك.

- قال أحمد: بكل دم بارد وإستهانة ولامبالاة لحديثها، لا وقت عندى لمهاتراتك، فكل كلامك يضيع وقتى، لكنها أصرت على الحديث معه حتى توضع لجراحها وحزنها وآلامها حدا، وقفت وصمدت مكانها والتزمت الصمت حتى يكترث لها ويصغى لحديثها، نظر لها فوجدها واقفة ولم تتتعتع من مكانه ولم تتكلم.

- قال أحمد: هل جئتى حتى تسمعينى صمتك.

- قالت ليلى: لا، بل جئت حتى أطلب الطلاق.

صعق أحمد من هول الكلمة فلم يتوقع أنها تجرأت إلى هذا الحد، أنها استطاعت أن تأخذ هذا القرار فى ظل وجود والدها.

- قالت ليلى: لا تتعجب، هذا القرار تأخر سنوات وسنوات والآن آن الأوان أن نفترق ، فكل منا لن يسعد الأخر،

- قال أحمد: هل أنا إشتكيت منك؟ أنا سعيد معك، لن أتركك غير فى حالة من حالتين، إما أن يذهب عقلك ويشرد على غير رجعة، وإما أن تزهق روحك وتذهب إلى غير رجعة أيضا.

زادها هذا الحديث نفورا وكرها وغضبا، ظلت تصرخ وتصرخ وتصرخ بدون أن تتوقف، وبدون إرادتها، وكأنها تسمع صوتها لربها وتناجيه أن ينقذها من هذا الرجل الذى لم تجد فى قلبه رحمة ولاشفقة، قد إشتعل الوجدان والتهبت الأشجان من فرط حزنها وجرح روحها وقلبها وأنوثتها التى محتها الأحزان والمرض، لكنه لم يكترث لصراخها فتركها تصرخ وذهب إلى أصدقائه، قررت الإنتحار وبالفعل ضاق صدرها وأظلمت حياتها فلم تجد بصيصا من النور ليخرجها من هذه الدوامة التى وضعها بها والدها غير اللجوء إلى ربها ، لكن تخيل لها أن تلجأ له وتزهق روحها لتصعد عند بارئها ، ففى هذا الأوان كان قد إنتابها مرض نفسي شديد الخطوره يسمى الإكتئاب الحاد ،

ولكن قبل أن تشرع بفعل أى شئ يضر بها وبفتاتيها، ذهبت ليلى إلى والدها راجية منه المساعدة وأن يعينها على أخذ حريتها التى سلبها منها وأعطاها لمن لا يرحم.

نظر الحاج سيد ذو البشرة البيضاء والعيون الخضراء والشعر البنى، طويل القامة، نحيف الوجد ، لم يدرك لماذا ذهبت له بعد سنوات من الفتور الذي نشأ بينهما بعد زواجها، نبت

بداخلها بذرة من أمل أنه سوف يساعدها ،على إتخاذ القرار المناسب، لكن سألها والدها؟

- قال الحاج سيد: لماذا تريدين الطلاق فى هذا الوقت؟

- قالت ليلى: لقد نفذت عزيمتى وضعفت قوتى ولم أستطع معه صبرا.

- قال الحاج سيد: أنت لم تشتك منه طوال هذه السنوات، لم تغضبي منه قط، الآن أتيت لطلب الطلاق مباشرة دون تمهيدات لنا بأسبابه، لماذا هذا القرار المتعسف؟

- قالت ليلى: متعسف ؟!! ، هل لأنى لم آتى إليك قط على مر هذه السنين لأشكوه لك، تقول أن قرارى متعسف، حسنا تريد أن تعرف الأسباب، التى جعلت صبرى ينفذ وأصمم على طلب الطلاق،

جلست ليلى وقصت كل ما يمكن أن ترويه لوالدها، ما عدا الأحداث التي تخدش حياءها ، فقصت كل ماكان يحدث بينهما فى مخدعهما من حديث وسب وقذف ، لكن حياءها منعها تذكر شيئا عن علاقتهما الغير حميمية مع زوجها.

- قال الحاج سيد: كل ما تقولينه لا يدعك تطلبين الطلاق وتتركين بناتك ومنزلك.

- قالت ليلى: هذا أخر قرار وسوف أنفذه مهما كان الأمر سوف أنتحر إذا لم تطلقنى منه.

- قال الحاج سيد: إفعلى ما ترغبين بفعله إلا أن يقال عنك مطلقة، هذا ضد عاداتنا وتقاليدنا داخل العائلة.

- قالت ليلى: هل العائله جاءت وحملت على عاتقها شيئا من الهموم التى أحملها على كاهلى،

احتدت المناقشة بين ليلى ووالدها.

- قالت ليلى: ظلمتنى عندما زوجتنى له، والآن تظلمني عندما لم ترغب فى طلاقى منه، لكنى سوف أتحرر من هذا القيد بطريقتى.

- قال الحاج سيد: إن أبغض الحلال عند الله الطلاق.

- قالت ليلى: الطلاق عند الله مكروه، لكنه حلال وليس حراما، قانون العائلة حرمته بداخلها، ثم نظرت إلى والدها

نظرة عتاب ولوم وإستعطاف، لكن كل ما فعلته لم يحرك ساكنه.

بعدما ذهبت ليلى من أمام عينيه خر ساجدا يطلب من الله العون وأن يساعده على فعل الصواب، هو يعلم إبنته جيدا عندما تشتكى، يكون بالفعل نفذ كل ما فى وسعها للصبر والتحمل، ويعلم جيدا أنها لا تحب الفشل فكونها تطلب طلب مثل هذا يعنى أنها فرغ صبرها فعلا، لكن يوجد طفلتين ليس لهما ذنبا فى إنهيار المنزل، بالفعل حاول الإصلاح بشتى الطرق بالفعل حضر مشاكل عديدة بين ليلى وأحمد يصعب حلها، مع كل هذا لم يرغب في أن يعطيها لقب مطلقة، تحول الأب والسند والأمان إلى رجل من عامة القرية بالنسبة لليلى، ازدات الفجوة اتساعا بين ليلى ووالدها، رسمت ليلى حياتها على أنها سوف تخوض الحرب بمفردها.

عندما علمت ليلى أن لا مفر من قضاء الله وقدره تبدل تفكيرها من التفكير الإيجابى إلى التفكير السلبى بعدما حاولت بشتى الطرق تغيير مصيرها وحياتها، أصبحت تفكر فى كل المواضيع بسطحية بالغة، أصبحت كل الأيام مثل بعضها متشابها فى كل الأحداث مشاكل وبكاء وحزن عميق، أصبحت كل

الأحاديث تحمل معنى واحد، شبهت ليلى حياتها ببركة المياه الراكدة بمائها العكر، حياتها أصبحت مثل البحر بهياج أمواجه ونواته وملوحة الماء الذى لا يروي ظمأها، ولا يروي نبات أو حيوان أو إنسان، قررت أن تضع كيانها مرة أخرى فى شرنقة الحياة، لعل الله يوضع فى قضائه رحمة وينصلح شأن زوجها، قررت أن تعطي زوجها أخر فرصة فى حياتها، قررت أن تستمر حياتهما مثل باقى البشر، لكنه لم يصلح من شأنه، بالعكس زادت قسوته عندما عرف أن لا أحد يرغب بمساعدتها حتى والدها، وأن حياتها معه أصبحت أمر واقع لا مفر منه، لكنها ظلت تسأل نفسها لماذا كل هذه القسوة من زوجها؟ هل لأنه لم يحبها أم هو ينتقم من الزمن فى شخصها؟ لأنه لم يتزوج الفتاة التى رغب فى الزواج بها ومنعته الظروف وتعنت والدته، بعد كل هذه المحادثات مع النفس ومع كل هذه المشاكل أصبحت ليلى فى مهب الريح، لم تجد غير طريق واحد يوصلها إلى هدفها بعدما خسرت نفسها وقوتها وثقتها بنفسها وأصبحت خاوية من الداخل، وجدت أن الحل الوحيد فى خلاص روحه ووجدها من عذابها هو طريق الصعود إلى خالقها مره أخرى ، حاولت الإنتحار لكن محاولة الإنتحار باءت بالفشل، زاد مرضها النفسى والجسدى وأصبحت لا تفكر فى شئ غير الصعود إلى السماء،

ظلت تحاول الإنتحار ظننا منها أن هذا العمل المحرم الشنيع هو طوق النجاة من هذه الحياة فساد السواد فى حياتها وأغلق قلبها وأقفلت عينيها عن كل متع الحياة ونسيت أطفالها، كل مايرسخ فى تفكيرها هو التخلص من الحياة، ظلت ماكثة فى مخدعها لا طعام ولا شراب أياما معدودات، وأصاب الفتاتين الحزن على حال أمهم، لم تكترث ليلى لنظرات عبير وعلياء التي يملأهم الشجن والحزن، كأنهما يناجونها أن تعود لهما مثلما كانت بقايا أنثى، لكنها كانت لهما أما وأبا وكل شئ، لم يحرك دموع الفتيات فقد أغلق صدرها وقلبها وعقلها وإستحوذ عليها الشيطان، بأن يجعلها تنسى ذكر الله وأن يجعلها ترغب فى الفناء، وسعى الشيطان جاهدا أن يكرهها في الحياة.

مرت سنوات على ليلى وهى مابين المنزل والمشفى، استحوذ على تفكيرها الشيطان مرارا وتكرارا ولم يدعها تهنأ بلحظة واحدة مع بناتها كلما يراها تعود إلى الله وتتقرب من التوبة وتندم على ما فعلته، يعود الشيطان ويزرع فى تفكيرها نبتة معاودة الإنتحار مرة أخرى، يضع أمامها كل أحداث حياتها، وجدت حياتها أوشكت على الدمار وزوجها لم يرحم ضعفها ومرضها وقلة حيلتها، شردت ليلى وقطار عمرها يمر من أمام

عيونها، لم تجد بداخله ما يعينها، على تحمل مرارة الحياة حيث الذكريات المؤلمة والحياة التعيسة، كلما تشرع لصلاتها تشرد حتى لم تهنأ بالوقوف أمام الله، ضعف إيمانها، وضعها الشيطان تحت رحمة المرض النفسى والإكتئاب، بعدما أوشكت على الجنون بالفعل، وجدت أنها سوف يصيبها الجنون، قررت أنها لم تعدل عن فكرة التخلص من حياتها للمرة الأخيرة، لكن كل ما يؤرقها هى فكرة أنها ستنتحر وتترك بناتها مغموسين فى الخزى والعار والنفور من البشر الذين سوف ينهروهم بالألفاظ كلما احتكوا بإحداهن ويقوموا بمعايرتهن لتخلص الأم والقدوة والمثل الأعلى من حياتها، فى ظل ضعف وعدم إيمانها بقضاء الله وقدره، ظلت مقلتيها تنزف الدماء بدلا من الماء ، حاولت أن تمحو من تفكيرها كل هذه الأفكار ولكن شيطانها لم ولن يتركها تهنأ لحظة واحدة بالسلام الداخلى وراحة البال، ظل يرسم لها مخطط للصعود إلى الهاوية داعب أفكارها نحو طريق الهلاك المحقق، وجه تفكيرها إلى القفز من القطار، أكد لها أن هذه الطريقة هى الطريقة الأمثل للموت المؤكد، وسوف تكون آخر محاولات الإنتحار، لأنها من المؤكد سوف تتوج حتما بالنجاح المؤكد، تكون كلمة النهاية على قضبان القطار، قام الشيطان

بوضع نبت اليقين بداخل ليلى، ظل يرعى هذه النبتة ويرسم لها خطة الإنتحار، حدثها فى أذنها.

- قال الشيطان : حين عودتك من المشفى، لاتعودى فى حافلة الركاب بل اصعدى إلى القطار، عندما يسرع القطار ألقى بنفسك من باب القطار فتظهر الوفاة على أنها قضاء وقدر، بذلك تكون محاولة وفاتك ناجحة ولن تترك لفتاتيك السمعة السيئة والعار،

بالفعل ذهبت ليلى إلى القطار وكانت أول مرة فى حياتها تسافر بالقطار، نظرت ليلى إلى القطار، وجدته فارغا تماما لم يصعد أحد به، كأنه على موعد معها ينتظرها بكل شوق ولهفة، حتى يحتضن وجدها، ليمزقه إربا إربا، على رصيف الموت صعدت ليلى إلى داخل القطار، ليلى لم تشعر بوجدها ولا بقدميها كيف تسير وإلى أين؟ تبعث بها إلى الهلاك، ولماذا يرسلوها إلى الهاوية ؟

هل رغبة منها أم هذا هو الطريق الوحيد لتخلص من جراحها وآلامها وعذابها فزاغ البصر وأصاب قلبها الجمود وذهب عقلها إلى الخيال والشرود، بعد صعودها ألقت بوجدها على أول مقعد

قابلها، وكأنها إختارت أن تجلس عند بدايه النهاية، كان القطار حين ذاك لم يأن ميعاد تحركه بعد، جلست ووجنتيها تذرفان من فيض نهر يتأجج به بركان من نار، فحزنها على أطفالها وعلى شبابها وجمالها لم يشفعوا عندها حتى تتخلى عن فكرة الانتحار، ولم تكترث ولم تخش هذه النهاية ولاهذه الموتة الشنيعة، فضلت أن يمزق القطار وجدها ويحوله إلى أشلاء على أن تعيش فريسة يلتهمها وحش شرس كل يوم، هى مقتنعة أن تمزق القطار لوجدانها أرحم من أن يلتهم هذا الرجل وجدانها ويغتصبها كل يوم دون رحمة ولا شفقة، بعد جلوسها وشرود عقلها مر من أمامها قطار العمر التى لم تجد به مايجعلها تعدل عن قرارها، ولكن هل يتركها الله لهذه النهايه المريره أم يرسل لها ملاك يرتدى ثوب إنسان ، بعد لحظات، جاء شيخ ملتحى يرتدى جبة وقفطان وجلباب أبيض وشال أبيض موضوع على كتفيه وقبعة ومعه زوجته وإبنته منتقبات لم تعلم ليلى أسم هذا الشيخ ، ولم تكترث لمجيئهما ولا لجلوسهما معها فى نفس المقعد بل حلق وجدانها بين السحاب في عنان سماء وظلتوراودتها أحلام اليقظه داخل الحياه البرزخيه ، لكن كل مايؤرقها ويعكر صفوها هم أطفالها الذين لم يتجاوزوا الرابعة عشرة سنة والثانية عشرة سنة، بناتها فقط هما ما يعكر صفو

هذه الملحمة التى تريد أن تقوم بها هذه الأم المنكوبة فى حياتها، تاره تفكر فيهن وتارة تمحى تفكيرها بهن، تحلق بخيالها عبر الزمان، تخيلت المستقبل بخيالها للحظات، نظرت له فوجدت بناتها منبوذين من البشر الذين لن يرحموا يتمهن وحزنهن على مصرع والدتهن وتهدم منزلهن وحياتهن وتدمير مستقبلهن ، كل ما يجدوه من البشر هو همسات ولمزات ومعايرة بأمهن التى ألقت بنفسها من القطار، مع ذلك لم تعدل ليلى عن فكرة الانتحار، ظلت مقلتيها تنزف دما من هول جراحها وتمزق أشلائها، ومع كل لحظة تنزع عن مقلتيها نظارتها السوداء وتجفف دموعها، وترغب فى أن يتوقف نزيف عيناها، لكنه لم يتوقف فبكاءها خارج عن إرادتها، لكنها تسعى جاهدة لإيقافه ولكن دون جدوى لم تستطع التحكم فى نفسها فمقلتاها تنزفان كأنها تنزفان من شريان ممزق.

ينظر لها الشيخ الذي لم تعرف إسمه وفى نظراته تكمن مئات الأسئلة؟ التي يبحث لها عن أجوبة، نظراته كلها دهشة وحيرة، ينظر لفتاة تناهز الثلاثين من عمرها، ينظر لجمالها وأناقتها وحزنها ودموعها التى لم تتوقف لحظة واحدة، يريد أن يخترق هذا الكيان، يسألها عما يصيبها، لكنه لم يجرؤ على

الحديث معها فهى أغلقت كل النوافذ والبيبان حتى لا يقتحم أحد صمودها، كلما تلوح بعيناها تجد هذا الشيخ يحدق بها وبداخله أسئلة كثيرة، تسرع بنزع مقلتيها عن مقلتيه حتى لا تضعف، لكن الشيخ لم يكترث لوجود زوجته وإبنته، أفكاره شاردة بهذه الحسناء ذات النظارة السوداء التى ينزف من مقلتيها نهر من الماء، خرج من صمته، قرر أن يسأل ليلى.

- قال الشيخ: مابك يا ابنتى؟

تنظر له ولا تتحدث، يعاود السؤال مرة أخرى؟ لكن بصيغة أخرى

- هل توفى أحد لك؟

تنظر له ولا تتحدث وتلوح برأسها إلى النافذة، كأنها لم تسمع غير صوت ملاك الموت الذي ينتظرها بعد قيام القطار، نظر لها الشيخ وحاول مرارا وتكرارا أن يجعلها تتحدث حتى يخفف عنها ويجعلها تتوقف عن البكاء، لكن دون جدوى بعد أن تحرك القطار من على الرصيف وقف قلبها للحظات، لكن هيهات فالشيطان بجوارها ويشد من أزرها مع سرعة القطار أسرعت هى الأخرى، نهضت ليلى بسرعة البرق تاركة أغراضها على

المقعد، ذهبت مسرعة فى إتجاه الباب المفتوح، نظر لها الشيخ وخفق قلبه كأن الله يعطيه إشارة، لما سوف يحدث وما ستفعله ليلى، نهض من مكانه كأنه يقفز مسرعا خلفها فوجدها تتزاحم فى وسط الرجال والشباب وتنزع نفسها من وسطهم وكأنها تقول لهم أفسحوا عن طريقى، قد حان وقت رحيلى، قد آن الآوان لمقابلة ملاك الموت، غاب عن تفكيرها أنها ستذهب إلى جهنم وبئس المصير وليس إلى الجنه كما تظن، فضلت أن يتعذب وجدها فى دار الدنيا ودار الأخرى معا، على أن تبقى تحت سياط الجلاد الذى يمتلك صك عبوديتها.

ذهب الشيخ خلفها ويتزاحم هو الآخر لينقذها من مصيرها المحتوم، ظل يسابق الزمن كي يلحق بها، وكان الله رؤوفا بها، أمسك بذراعيها فى آخر لحظة، ودفعها بقوة داخل صدره، كأنه ملاك الرحمة الذى أرسله الله لينقذها، كأن الله جعل كل الخير الذي كانت تفعله لابتغاء مرضات الله، رده الله إليها فى شخص هذا الملاك، حضنها وتشبث بها وأغلق ذراعيه على وجدانها، كأنه يقيدها حتى لا تتملص منه وتنزلق من على متن القطار، تزاحم عليهم كل من بالقطار، هى تبكى تصرخ وينتزع منها وجدها وتناثرت أشلاءها التى كادت تمزقه تحت عجلات القطار،

صراخها يهز كيان القطار، تحاول أن تتملص منه لتلقى بنفسها من القطار وهو يضمها كأنها إبنته، بعد كل محاولاتها وقعت مغشي عليها، جاءت زوجته وإبنته وحملوها وعادوا بها، أجلسوها على المقعد، جاء طبيب من ركاب القطار، كأن الله أرسله هو الآخر حتى يقوم بإسعافها، أعطاها حقنه فأفاق وجدها، فعاودت البكاء وانهارت مجددا، أخذتها زوجة الشيخ فى حضنها حتى هدأ روعها ، توقفت عن البكاء، إنصرف كل من كان معها من الشياطين الذين إمتلكوا وجدانها، إستأذن الشيخ من ركاب القطار الذين يلتفون حولها أن يعودوا إلى أماكنهم بعد أن إطمئن الجميع أن ليلى أصبحت بخير نوعا ما، جلست ليلى وجففت دموعها، بعد أن شعر الشيخ أنها أصبحت على مايرام وأنها تستطيع الحديث عاود السؤال؟

- قال الشيخ: هل أتجرأ يا إبنتى وأسألك لماذا قمت بفعل هذا العمل الشنيع؟

تنظر له ليلى ولم تستطع الكلام، تشعر أنها صماء، لكنه لم ييأس منها، عاد بالسؤال مرار وتكرار، فشلت كل محاولته بإقناعها أن تتحدث وبينما يتحدث معها لتستطيع أيضا إيقاف

نزيف الدمع الذى يذرف من مقلتيها، لكنه طلب منها أن تسمعه ولا تتحدث.

- قال الشيخ: اسمعينى يا إبنتى، أنا شيخ عجوز كما ترين، هذه زوجتى وهذه ابنتى، ليس فضولا منى بقدر ما هو محاولة لمساعدتك، أعلم جيدا أنك إبنة أناس محترمين وأنك ميسورة الحال، يظهر هذا كله على مظهرك وأناقتك و ملامحك البريئة، إن كل ما عزمت على القيام به، محرم شرعا وكفر بالله ومعصية لا يستهان بها، إن كان أحد غرر بك وسلب منك ما تملكين وتخشين الفضيحة والعار، هذا ليس بحل للمشكلة، أنت تنصتين لكلامى وتفهمينه جيدا، قد يسخرنى الله للوقوف بجوارك حتى أحل لك هذه المشكلة،

نظرت له ليلى نظرة تعجب لكلامه ونفور وإشمئزاز فى نفس الوقت، فكت قيود لسانها بعدما وجدت أن الشيخ يظن بها السوء، أنه بحديثه هذا يجرح كرامتها وكبرياءها وشرفها، فانطلق لسانها بالحديث.

- قالت ليلى: ماذا تقول يا عمى؟ أنت تفهم الموضوع خطأ أنت الآن تقذف المحصنات بالسوء.

- قال الشيخ: لا يا إبنتى أنا لم أقذفك بالسوء، كل الظواهر تدل على ذلك، نحن بشر نأخذ الأمور بظواهرها، لكن الله هو الذى يعلم ماتخفيه الصدور والنفوس نحن بشر يا ابنتى، أنت تخشين الحديث معى مع إنى لا أعرفك ولا تعرفينى، سوف تأتي محطتي وسوف أهبط من القطار، ولا أعرف طريقك ولا تعرفين طريقى فكل ما تقصيه وترويه علي كأنك تقذفى به فى اليم، لعل الله سخرنى لمساعدتك إذا شئت.

نظرت له ليلى ووجدت أن حديثه منطقى، حدثت نفسها وقالت هذا الشيخ لا يعرف من أنا ولا أنا أعرفه فكل منا لا يعرف الآخر لا أعرف بلدته ولا عائلته ، فإذا تحدثت معه أقوم على تبرئة نفسى من سوء ظنه بى هذا أولا، وثانيا لعل حديثى معه يفك كربى ويمحى همى ويخفف حملى الذى أضعه على كاهلى.

- قالت ليلى: سوف أقص عليك قصتى، لكن بماذا أبدأ؟ وكيف وأقول؟

- **قال الشيخ: من حيث تشائين.**

- **قالت ليلى: سوف أقص عليك قصتى من أول ما بدأت مشكلتى مع الحياة.**

- **قال الشيخ: تفضلى يا إبنتى كلى أذان صاغية،**

إبتسم لها لعله يخفف عنها رهبة الحديث، نظر إليها بعاطفة الأب وحنانه، وجدت ليلى وجه العمدة فى وجهه وطيبته وحنيته، خيل لها أنها تجلس أمامه وتشتكى له ليساعدها على حل مشكلتها أو ليقوم بوضعها على طريق النجاة، قامت بقص كل شيئ عن حياتها ، ظلت تروي قصتها دون توقف، ترويها من أول طفولتها، حتى وصلت إلى متن القطار، تروى وعيونها تزرف الدمع ووجدها يتمزق إلى أشلاء،تارة تتحدث وتارة تشرد بعيدا، بعدما إنتهت من حديثها، نظر لها الشيخ نظرة شفقة على حالها، أخذتها زوجته فى حضنها حتى تطيب خاطرها وتهدئ من روعها بعد إنهيارها وشدة بكائها وهى تتحدث، لكن طرق على خاطر الشيخ سؤال خشي أن يسألها إياه، لكن فضوله تغلب عليه فسألها؟

- قال الشيخ: إبنتى هل يوجد فى حياتك رجل أخر يعكر صفو حياتك ويحرضك على ترك زوجك وبناتك ويوعدك بالزواج منه، عندما تنفصلين ويقوم هو على تربية بناتك فأنت مازلت صغيرة وجميلة جمال ليس له مثيل.

- قالت ليلى: لا يوجد أى رجل فى حياتى فقد كرهت كل الرجال بسبب زوجى، كل ما أرغب به هو أن أعيش أنا وبناتى، لا أريد أحد ينغص على صفو حياتى، أنت لا تقدرما أعانيه من دمار نفسى وجسدى عندما أشعر أنه يريد ....

- قال لشيخ: أفهمك وأقدر صمتك فتربيتك وأخلاقك تأبى عليك أن لا تفشى أسرار الفراش.

- قالت ليلى: أنا لا أريد أى رجل فى حياتى، ظلت تبكى بكاء يقشعر له الأبدان.

عرض الشيخ عليها أن يساعدها ويذهب معها لوالدها ووزوجها ويقف بجوارها حتى ينفذ لها طلبها.

- قال الشيخ: أنت يا إبنتى مازلت صغيرة وجميلة، سوف يطمع الذين فى قلوبهم مرض، لو أقمت فى منزل

آخر بمفردك مع بناتك، يا إبنتى البشر كما قلت لك فى أول الحديث ليس لهم غير الظاهر لا الباطن، أنا أرى بمقلتى، أنك ميتة بالفعل، لكن وجدانك مازال حيا لكن روحك وقلبك وإحساسك حتى مشاعرك كل شئ أصبح فى عداد الموتى، وكيف للميت أن يعود إلى الحياة؟ فكرى يا إبنتى مرة أخرى فى بناتك، إن توفيت وتركتيهن يقاسين مرارة الحياة، هل ترغبين فى قتلهن أيضا مثلما قتلك والدك وزوجك، أتوسل إليك يا ابنتى أن تضعى بناتك داخل كفة الميزان وتضعى ليلى داخل الكفة الأخرى، أنظرى كفة من منكم سوف ترجح، إن رجحت كفتك، فإذهبى إلي حيث تشائين وأتركيهم، فالله أحن عليهم منك، وإن رجحت كفتهم، فتراجعى يا إبنتى وإستعيذى من الشيطان الرجيم وعودى لبناتك من جديد، حاولى أن تعوضيهن أيام مرضك وعزلتك عنهن، البنات ليس لهن ذنبا غير أنك أنجبتيهن رغما عنك،

نهض الشيخ من مكانه ووضع يده اليمنى على رأس ليلى، ظل يقرأ عليها القرأن ويحصنها من وساوس الشيطان،

- تقول له زوجته إرقيها، أتل عليها الرقية الشرعية ياشيخ،

- فلا ينطق الشيخ ويظل يتلو عليها القرأن والأدعية وكلمات الرقية الشرعية،

بالفعل تغير تفكير ليلى فى الحال، أصبحت تفكر فى حديث الشيخ جيدا، برغم أنها لا تنصت لأحد ولا تلجأ لأحد غير الله، تعجبت ليلى واستغربت نفسها، ظلت تحدث نفسها لماذا تنصت لحديث الشيخ وتقتنع به وتجد أنه حديث منطقى لكنها لم تتعجب فالله إذا أراد شئ "يقول له كن فيكون"، لكن هذا كله من تدابير الله، سبحان مغير الأحوال من حال إلى حال، قد سخر الله هذا الشيخ حتى يضع ليلى على أول الطريق الصحيح، هدأ روع ليلى ولملمت ما تبقى من وجدها، وضمد حديث الشيخ جراحها ،فوجدت كأنها ولدت من جديد، سرعان ما تفاءلت، وذهب حزنها وشرودها، تغيرت ليلى وبث الله بداخلها قوة لا تعلم من أين أتت، وعزيمة وقدره على مواجهة الأزمات، بالفعل قررت العودة من رحلتها الطويلة القاسية فى هذا اليوم، كأن الله أرسلها للموت حتى تجد الحياة، ثم عادت إلى قواعدها سالمة، لكن ليس كما خرجت من منزلها، خرجت مكسورة مهزومة تعيسة وحزينة وكارهة للحياة، كان بداخلها كل أنواع البؤس والشقاء، عادت إنسانة أخرى، نبت بداخلها

زهور التفاؤل ورياحين السعادة وورود الأمل، هرولت خلف المستقبل المبهر، قررت ليلى وهى في طريقها أن تدفن كل أوجاع البؤس والشقاء والحزن والألم فى قاع الجب وتجمد كل مشاعرها وأحاسيسها داخل جليد الحياة، أن تلتفت لبناتها ومستقبلهن وأن تحقق كل أحلامها وأمانيها وكل ما أرادت أن تحققه لنفسها، وأن تتحدى الظروف وتقفز ببناتها من فوق بركان الهلاك، وتعبر بهم من عواصف الحياة وأعاصير الخلافات وتضعهن داخل سفينة النجاة، بحثت ليلى بداخل بناتها عن كيان ليلى، بالفعل عثرت داخل وجدان بناتها على طفولتها وشبابها وأنوثتها وكل كيانها، قررت أن تحافظ على عهدها مع هذا الملاك الذى أرسله الله لها لينقذها من الموت المؤكد، أن تضع هدفا واحدا أمام مقلتيها، ألا تلتفت إلا لمستقبل بناتها مهما كانت الظروف قاسية عليهما، سوف يتحملنها حتى تعبر بهن لشاطئ الأمان، بالفعل عادت ليلى وهى مستعدة لكل الإحتما لات.

عادت ليلى إلى منزلها، وجدت أحمد، جالس أمام الكمبيوتر يلعب جيمز، نظر لها ونظرت له، تجاهلته، دخلت مباشرة إلى غرفتها لتبدل ملابسها أمام صديقتها الوحيدة، المرآة ، المرآة

التى تنكشف أمامها كل الستائر التى بداخل ليلى من آهات وآلام وأحزان، التى تلقى ليلى همومها بداخلها وهى مطمئنة، التى لم تخونها أو تتخلى عنها فى يوم من الأيام، وقفت ليلى أمام المرآة لتحدثها، هى تنسلخ من جلدها الضعيف الهزيل، كي تستبدله بجلد قوى يتحمل كل عوامل الزمان الحارقة، تعود إلى معركة الحياة مرة أخرى، قررت تجاهل كل مهاترات الجلاد، قامت بتأهيل نفسها بأنها تحيا بمفردها مع هاتين الفتاتين، لكن مع فارق أنه يوجد فى حياتها شخص يسمى زوجها، وهو يقيم فى منزلها أيضا، كل مايربط بينهما وثيقة زواج، سعت بكل مافي وسعها أن تتجاهله، لكن مع إعطائه كل حقوقه الزوجية، من إهتمام وأن تقوم بكل واجباتها معه على أكمل وجه، دون الإلتفات لحقوقها كزوجة أو كأنثى، هى تقبلت أن تقتل كل كيانها من وقت زواجها، كل ما كانت تفعله هو محاولات للحياة، من فرط حلاوة الروح.

مر على ليلى أيام وشهور عجاف، وهى لا تكترث لهذه العوامل، كل مايرهق ذهنها ويحركها مثل موتورالماكينة، هو تفوق عبير وعلياء الدراسى ، سعت ليلى جاهدة على أن تجعلهن متفوقتان دراسيا وأدبيا وخلقيا، غرزت بداخلهن النشأة

الدينية وربتهن على الفضيلة والمبادئ والقيم والأخلاق الإنسانية، لكنهن اعتدن على العزلة مثلها، بفضل الله ومساعدته لها كانت البنات مثال للطاعة العمياء، كل ما تأمرهن به ينفذ بدون أى تفكير ولا مجهود منها بإقناعهن، فكل ما يؤرقها هو زوجها، لكنها وجدت لشرنقتها التى دخلت بها مجبورة مخرج بعد تفكير ومعاناة طويلة، كان الحل هو الطلاق الشرعى، ظلت تراوغه وتعانده وتقوم بإستفزاه ببرودها وعدم تنفيذ مايأمرها به، اتبعت معه أسلوب الدم البارد فيتهور وينهار ويلقى عليها يمين الطلاق، ظنا منه أنها لن توقع اليمين، لكنه كان يقدم لها حريتها على طبق من ذهب، بكثرة إلقائه يمين الطلاق، نفذت كل أيمانات الطلاق، أصبحت محرمة عليه شرعا، بذلك تحقق كل ما كانت تسعى له ليلى دون أى مجهود منها، مثلما كانت تفعل فى الماضى، وجد أحمد نفسه زوج بالقانون لا الشرع، مع ذلك لم يقبل أن يحررها من وثاقه، أصبحت محرمة عليه شرعا، لن يقدر على أن يلتهم وجدها مرة أخرى، عاودت طلب الطلاق، لكنه فضل أن يقيدها باقى عمرها فى ظل عقد وثاق قانونى يسمى صك العبودية بدلا من الزواج الشرعى، علم والدها بكل ما حدث لابنته، ذهب لها حتى يعتذر منها ويأخذها هى وبناتها إلى منزله، لكن أحمد لم يقبل.

- قال أحمد: لن أطلقها، سوف أقتلها إن خرجت من منزلى، لن أدعها لرجل أخر يأخذها ويستمتع بها، هو لا يعلم أنه قتل كل ما بداخلها من أنوثة، حتى أصبحت مثل الجبل الراسخ الذى لا يحرك ساكنا أمام الرياح والعواصف.

رفضت ليلى العودة مع والدها برغم أنه أعطاها كل الأمان والإستقرار وقدم لها كل المغريات حتى تعود إلى منزلها، تحدى والدها هذا الزوج المتعنت ، بعدم فعل أى شئ يؤذى مشاعرها مرة أخرى ،لو حاول أذيتها هى أو بناتها، فسوف ينتقم منه شر إنتقام، لكن مع كل هذه الإغراءأت لم تستهويها، كل ما كانت تتمناه هو عدم إقتراب أحمد من وجدها ويتخذه متعة له.

مرت سنوات على ليلى وهى زوجة قانونية فقط، بعدما فرض والدها على زوجها قوانين قاسية بالنسبه له، أن يقيم فى سكن بعيد عن إبنته وبناتها، هو الأن ليس زوجها شرعا، يقوم والدها بالدفاع عن شرفه، قام بتهديد أحمد ،إن سولت له نفسه أن يقترب منها أويطلب معاشرتها سوف يطلق عليه طلقات الرصاص من سلاحه دون أى تردد، وجد أحمد الحاج سيد على

غير عادته الرجل الطيب الحكيم الحنون العطوف، وجده وحشا كاسرا.

نظر أحمد للحاج سيد وجد مقلتيه يخرج منهما الشرار ويشتعل بداخله النار وهو يتحدث معه، نهض من مكانه وطبطب على كتفه وهو يتحدث معه، كاد أن يملخه من شدة حدته وقوته وغضبه، حتى يدافع عن ابنته، لأنه يشعر بالذنب تجاهها.

مرت عدة سنوات على هذه الحياة الراكدة المملة ولم يمح الزمن رونق وجمال ليلى بالعكس كانت تزداد جمالا فوق جمالها، تمر بها السنين ولكنه لا يضع على وجدها أى علامات، بل إزدادت جاذبيتها، ظلت متقمصة شخصية الرجل، جسد أنثى جميل جذاب كله أنوثة، لكن طباع رجل، تتصف بالجدعنة والنخوة وتحمل بداخلها كل معانى الرجولة، حتى لا تقع فريسة فى يد معدومي الضمير، أصرت فى قرارة نفسها ألا يعلم أحد سرها مهما كان ،حفاظا على بناتها وعلى شخصها حرصا منها ألا يتسرب أحد ويقتحم حياتها ويجعلها، تضعف وتبحث عن ما فقدته من أنوثة فى ظل الظروف العصيبة التى مرت بحياتها، هى زوجة قانونية ولكنها مطلقة شرعا، ظلت على هذه الوتيرة

سنوات، تعبت ليلى من عدها، فى ظل هذه السنوات لم يرحمها زوجها من إفتعال المشاكل، لكنها ظلت صامدة أمام كل الظروف.

فى يوم من الأيام قامت ليلى لزيارة منزل والدها بعد مرور سنوات من القطيعة لهم، وجدت والدها يجلس على الأريكة ويقوم بحلق لحيته ، عندما وجدها أمامه، نهض من مكانه مسرعا ومتلهفا عليها حتى يلتحفها بذراعيه ويلتحف وجدها بحضنه، مثلما كان يفعل منذ زمن بعيد ولكنها لم ترغب بهذا الحضن فنحته جانبا حتى وجدت الدموع تذرف من مقلتي والدها، لم يهن عليها حزنه مثلما هانت هى عليه، ذهبت واحتضنته، تمتم لها في أذنها، طلب منها أن تسامحه ولكن قلبها لم يقبل مسامحته.

قالت ليلى: لم ولن أسامحك بل أقف أنا بجانبك أمام الله يوم ترد المظالم وأنا أعلم أنه يرد لى مظلمتى منكم جميعا، كان حديث الغضب والقهر والظلم أسرع بالخروج من الشفاه، تقول له كل هذا الحديث وهى بين ذراعيه وداخل حضنه ، ثم نزعت نفسها من حضن والدها وجلست مع والدتها بعضا من الوقت دون أن تتذوق عندهم شربة ماء، ذهبت من منزل والدها فى صحبة بناتها مثلما حضرت إليه، كان عمر بناتها فى ذلك الوقت،

عبير سبعة عشر عاما وعلياء خمسة عشر عام ونصف، هما فى سن المراهقة لكنهما لايظهر عليهما علامات تظهر أنهم فى سن المراهقة، تجمدت مشاعرهن وأحاسيسهن مثل ليلى، كل ما يشغل تفكيرهن هو دراستهن وتفوقهن من أجل أن يقومن بإسعاد ليلى ، لكن فى ذلك اليوم نظرت ليلى للفتيات وجدتهن قد أصبحن فتاتين إقتربت معالم الأنوثة تظهرعلى وجدهم، أصبحت الطفولة تتناثر من حياتهن فشعرت بحريتها تقترب، وأنها بعد عدة سنوات سوف تحقق هدفها وتحل وثاقها وتخرج من تحت سياط الجلاد، شردت بفكرها وهم في طريقهم إلى المنزل فى مصير تلك الفتيات، كل ما يشغل تفكيرها هما الفتاتان ومستقبلهن، وهم فى الطريق اعترض طريقهما رجل يناهز من الأربعين من العمر ، لون بشرته أمحي وعيون واسعة وسيم الملامح، يظهر عليه الوقار والهيبة، طويل القامة، نحيف البدن، وقف أمام ليلى ولم يتحرك، تنحت جانبا عنه وذهبت هى وبناتها، كأنها لم تشاهد أحدا ولا اعترض طريقها أحد، لم يشغل تفكيرها هذا الموقف، كل ما يرسخ فى تفكيرها وعقلها مقولة سمعتها من والدها فى صغرها وهى " الكلاب تعوى والقافلة تسير" لكن هذا الرجل ما كان كلبا على الإطلاق.

- قالت عبير: هل تعرفين هذا الرجل؟

- قالت ليلى: وهي تنظر لعبير بتعجب أي رجل؟

- قالت عبير: الرجل الذى إعترض طريقنا.

- قالت ليلى: تعلمى يا إبنتى أن تسيرى فى الطريق الذى رسمتيه لنفسك، ولا تجعلي أحدا يشغلك ولا تداعب مقلتاه مقلتيك، غير الهدف الذى تريدىن الوصول إليه.

- قالت عبير: لكنه يعرفك جيدا، نظرت إلى وجهه هو يبتسم، كأنه وجد ضالته.

- قالت ليلى: سيرى ياصغيرتى، لا تنظرى لمن يرغب فى تعطيلك عن هدفك.

- قالت عبير: أمى أنظرى خلفك إنه يسير خلفنا.

- قالت ليلى: قلت لك سيرى ولا تلتفتى لأحد.

- قالت عبير: سأفعل، لكن هل يمكن أن نقف ونسمع منه ماذا يريد؟

قالت ليلى: قلت لك أصمتى وهيا أسرعى إلى المنزل.

عادت ليلى والفتيات للمنزل، مازال الرجل خلفهن، بعد ان إطمئن أنهن وصلن إلى بر الأمان ذهب وتركهن.

قبل دخول عبير من باب المنزل، لاحت بنظرها، وجدت الرجل ذاهب إلى حال سبيله بعد وصولهن إلى منزلهن .

ظلت ملامح هذا الرجل معلقة فى ذهن عبير، شغل تفكيرها هذا الرجل، بعدما خلدوا جميعا للنوم، لم يغمض لها جفن، تفكيرها طغى على رغبتها بالنوم، أرقها جعل التوتر ينهش من وجدها بعض الشئ، ذهبت ليلى كعادتها لتطمئن عليهن وتبسط عليهن الغطاء وتقبلهن، وجدت عبير تتقلب ذات اليمين وذات اليسار، لم تستطع النوم.

- قالت ليلى؟ لماذا لم تخلدى إلى النوم ياصغيرتى.
- قالت عبير: لو قلت لك وحدثتك عما يدور بخاطرى ستغضبين.
- قالت ليلى: لا لن أغضب هيا تحدثى حتى يستريح وجدك وتخلدين للنوم.

- قالت عبير: يشغلنى نظرات هذا الرجل يا أمى، أعلم جيدا أنك نظرت إليه بعمق ولكنك تظاهرت أنك تجاهلتيه.

- قالت ليلى: سوف أشرح لك كل شئ عندما تكبرين وتستطيعين إستيعاب المواقف.

- قالت عبير: أمي ألم تنظرى إلى لقد إشتد عودى وأصبحت على وشك النضوج، أستطيع أن أستوعب ما تقولينه لي.

- قالت ليلى: لا ياصغيرتى فكل ما سوف أرويه إليك، لن تستوعبيه عندما تنضجين، سوف أقص عليك كل شئ.

- قالت عبير: لكن يأمى.

- قالت ليلى: ماذا بعد؟

- قالت ليلى: حبيبتى هيا إسترخى واخلدى للنوم، لا تجعلى أحدا يشغلك عن شئ، كل شئ يأتى بمشيئة الله، بالفعل خلدت عبير إلى النوم، ذهبت ليلى إلى غرفتها، لم يغمض لها جفن حتى أذان الفجر، شاردة مابين الماضى والحاضر، بعد الأذان شرعت لصلاة الفجر وذهبت بعد

شروق الشمس إلى مخدعها لتسترخى وتحاول النوم، لكن الله شاء غير ذلك.

فى الصباح الباكر دق جرس الهاتف، فخفق قلب ليلى ولم ترغب فى أن ترد على الهاتف، ظل الجرس يدق وليلى على السرير، كأنها أصابها شلل مفاجئ، لم تقدرعلى النهوض ولا تعلم ماذا حدث لها.

بعد مرور وقت ليس بطويل إستيقظت علياء على صوت الهاتف، ذهبت لترد على المتصل، سمعتها ليلى وهى تقول سوف أبلغ ماما ونحضر حالا، لكنها لم تعلم مع من تتحدث علياء.

- قالت ليلى: هل مات جدك؟

- قالت علياء: لا ياماما، خالى قال أنه مريض فقط، سوف يذهبون به إلى المشفى.

لكن هيهات، لقد حدثها قلبها عندما خفق، حدثتها روحها عندما زهقت من وجدانها، شعرت ليلى فى ذلك الحين أن روحها تشرد منها وتتناثر، لكنها جمعت قوتها ونهضت من فوق السرير وإرتدت عباءتها السوداء، ذهبت مسرعة إلى منزل والدها،

وجدت والدها مسطح على السرير كأنه نائم، لكن الغطاء من فوق قدميه وحتى رأسه، نزعت الغطاء من على وجهه، وجدته كأنه يبتسم، ألقت بنفسها فى أحضانه ولم تتركه مطلقا، لم يستطع أحد على نزعها من حضنه إلا عندما جاء المغسل، ليجهزوه للرحيل من الدنيا إلى مثواه الأخير، لقد فارق الحياة وتركها دون أى إشارة دون سابق إنذار.

مع وفاة والدها بدأت تشعر بالانكسار والهزيمة، تشعر أن الحياة سوف تعود لتدخل معها معارك ضارية، فقد رحل عنها سندها وحصن الأمان بالنسبة لها، برغم البعد والجفاء، إلا إنه كان الأمان من غدر الزمان لها

ولفتاتها، كان الأب والأخ والصديق والحبيب، كان لها بمثابة الكلمة والموقف برغم البعد الذى فرضه عليهما الزمن وحرمهم من بعض، بعد شهور من الحزن والضعف والانكسار، وجدت ليلى نفسها تعود لإهمال بناتها من جديد، كان لزاما على ليلى أن تخرج من تلك المعارك وهى منتصرة، أن تتظاهر بالقوة والصلابة حتى لا تأكلها الذئاب، فى تلك الفترة العصيبة ،بدأت ليلى لعودتها للقراءة التى أهملتها عدة سنوات، لتقضى معها معظم أوقات فراغها التى تتبقى من الوقت المحدد لفتياتها،

تقضى معها أوقات الوحدة فى الليل الموحش، بهذه الطريقه وجدت ليلى السلوى والنسيان، أصبح لها ونيس يؤنس وحدتها، يسقى وجدها من قطرات الندى حتى يعطيه الحيوية والنشاط ويجعلها تجد السعادة والهدوء النفسى والسكن والسكينه لروحها التى باتت شريدة على مر السنين.

بعد مرور سنوات على هذا الحدث، وجدت ليلى أنها إقتربت على تحقيق هدفها، أن سفينة الحياة أقبلت على الوصول إلى شاطئ الأمان، نبت بداخلها شعور غريب وإحساس غريزى قد نحته عن وجدها وقلبها جانبا على مر السنين الماضية، هى تصادق وحدتها وتبيد أنوثتها فى ظل المشاكل والشجار المستمر مع أحمد طليقها وزوجها فى نفس الوقت، بعد وفاة والدها وشعورها بالوحدة المفرطة وعدم الأمان والإستقرار النفسى، رويدا رويدا يداعبها التفكيرعندما تنظر بالمرآة وتتحدثها عن ما تراودها نفسها، كلما غرقت بالتفكير أكثر وأكثر شعرت بالأسى والحزن أكثر وأكثر، باتت تتحسر على نفسها وشبابها الذي أوشك على الإنتهاء، وهاجمها خريف العمر ولم تدرك أن بوجود الخريف تتساقط أوراق العمر رويدا رويدا ، فانتابها شعور أنها أنثى ناقصة غير مكتملة الأنوثة غير قادرة على تبادل الحب

كغيرها من النساء، أصبحت غير قادرة على أن تشعر نفسها بأنوثتها، هاجمها حيوان الغريزة مرارا وتكرار وتقوم بقتله بداخلها دون أن تشعر أحد بمهاجمته الشرسة لوجدها، ظلت مرتدية ثوب العفة والفضيلة والكرامة والكبرياء والتكبر الراسخ بداخلها، كلما هاجمها هذا الحيوان تطلق عليه سهام الإيمان بالله وتطفئ نيران هياج هذا الحيوان بماء الوضوء الذى كان ينزل على وجدها برد وسلام، ظلت مرتدية ثوب الرجولة حتى جلب لها القوة والشجاعة وتدابير الأمور، لكن جمالها ورقتها وحديثها العذب وسحر مقلتيها وأناقة مظهرها يجعل من يراها أو يتحدث معها تتوق لها نفسه وتهفو روحه ويعجب بها، يخفق قلبه لأنوثتها المستعارة أصبح قلبها قلب طفلة وعقلها عقل رجل ووجدها وجد أنثى وهذه الصفات يتصف بها أصعب النساء فيصعب الوصول إلى تفكيرهم ولا معرفة ما تفكر به، هذه الصفات هى التى كانت تميز ليلى من دون النساء، أصرت ليلى أن توظف كل ما تملكه من صفات حميدة لتحقيق هدفها وتصبح بالنسبة للبشر شئ مرغوب وفى نفس الوقت ممنوع، ترعرعت شجرة نفورها من الرجال واخضر ورقها واشتد سيقانها وطابت ثمارها، حتى جاء لها هادم الذات ومفرق الجماعات، عاد وحش الأنوثة لمهاجمتها من جديد، إستغل غفلتها عن ترويضه، استغل

ضعفها للحظات وإحتياجها الداخلى للإحتواء والإهتمام والحب، نظرت ليلى فوجدت العمر ينفذ والسنين تمر وصحتها أصبحت منهكة وأشلاءها متناثرة من ضغوط الحياة، فى هذا الوقت تسلل أسامة داخل ليلى بدون إرادتها ولا تخطيط منها لذلك، كان لها بمثابة الأخ والصديق والأب وكل ما تحمله كلمة رجل ماعدا الحبيب، تسلل أسامةإلى حياتها بعد وفاة والدها، مستغل الفرصة التى أتت له بعد إنتظار سنوات عجاف من الحرمان والحب من طرف واحد، تسلل لها بعدما لجأت له لحل مشكلة تعرضت لها وهى ذاهبة الى المشفى لتتناول علاجها الشهرى ويتجسد فى المهدئات والمنوم بما إنها أصبحت فريسة لمرض الإكتئاب وجميع الأمراض النفسية، تعرضت ليلى لسرقه مصوغتها من رجل يعتلى دراجة نارية خطف من فوق صدرها السلسال الذهبى وحقيبة يدها، هرول ولم يستطع أحد اللحاق به، ذهبت ليلى ومعها بعض الشباب والسيدات الذين أزروها وقت الحادث، بعدما أشاروا عليها أن تذهب قسم الشرطه لقيد بلاغ ضد السارق التى لم تعلم هويته، بالفعل وعند شرود ليلى من هول مفاجئة الحادث الذي تعرضت له، كانت مغيبة بعض الشئ من صعوبة الصدمة، وافقتهم الرأي، إصطحبوها وهى منهارة إلى مركز الشرطة، بعد دخولهم مركز الشرطة وجدوا أمين شرطة،

أراد أن يكتب لهم البلاغ الذي تريد أن تقدمه للمأمور، جلست أمامه حتى يأخذ بياناتها، لكن إرادة الله أبت غير ذلك، عند وجود ليلى أمام أمين الشرطة، تم طلب الأمين من قبل المأمور على جهاز اللاسلكى يطلب منه أن يذهب إليه على الفور ، لكن الأمين طلب منه بضع ثوانى حتى يحرر محضرلسيدة تعرضت لسرقة، طلب منه المأمور أن يحضرها معه ليسمع أقولها، طلبها المأمور ولم يعلم من بالخارج ولا يعلم من التى تعرضت للسرقة، طلب الأمين من ليلى أن تذهب معه للمأمور، خشية من الدخول، هى تخشى ضباط الشرطة وتكره ضباط الجيش، عندها فوبيا من الإثنين، رفضت الدخول للمأمور، لكن الذين كانوا معها أقنعوها وهدأوا من روعها حتى قبلت أن تذهب مع الأمين للمأمور، بعد إصطحابها دق الأمين الباب فأذن له المأمور بالدخول، دخل الأمين وليلى تتردد فى الدخول، لكن الأمين طلب منها الدخول بصوت مرتفع فأخافها، أرادت أن تذهب دون أن تحرر المحضر، لكن المأمور نهر الأمين من أجل ما فعله، شعرت ليلى أن المأمور على قدر من الرحمة والأخلاق، فاطمأن قلبها بعض الشئ، نهض المأمور بنفسه من على مقعده، ذهب أمام الباب حتى يأذن لها بالدخول بنفسه، نظر لها ونظرت له وتشبثت قدماها فى الأرض، لم يقدر أحد منهم على مفارقة مكانه من

هول المفاجأة والصدمة الغير متوقعة على الإطلاق، بعد لحظات والأمين ينظر إليهم ويتعجب هو ومن خارج الباب، الكل وقف صامتا يلتفتون لبعضهم البعض من الإستغراب للمنظر، منهم من فهم أنهم يعرفون بعض ومنهم لم يفهم، بعد لحظات طلب منها الدخول فأبت وقررت أن تذهب، ترجاها حتى تدخل وتتحدث معه.

- قال المأمور: أنا سوف أسمع شكواك.

- قالت ليلى: لا لا لا، لا أريد أن أشكو أحدا، سوف أذهب إلى حال سبيلى.

قال المأمور بكل ثبات ظاهرى وفى سرعة البرق، حول المفاجأة والصدمة وشعوره بهول المفاجأة بخبرة ضبط النفس، تظاهر بالثبات أمام الحاضرين، طلب منها الدخول مرة أخرى، طلب من أمين الشرطة الانصراف.

- قال الأمين: ياافندم حضرتك أمرتنى بالحضور لأمر ما.

- قال المأمور: لا يهم اذهب الأن، ارسل لنا ليمون للهانم وزجاجة ماء،

نظر له الأمين بتعجب وإستغراب، ذهب بعد أن أدى التحية له.

بعدما ذهب الأمين من غرفة المكتب، طلب المأمور من ليلى الجلوس وجلس هو الى مكتبه، كانت تحتويه رغبة قوية أن يلمس يدها، كل أمانيه أن تلمس يده يدها، يشعر بنعومة ملمسها، غاب عنه أنه ضابط شرطة وأنها مواطنة عادية، جاءت لتشتكى سارقا، تذكر فقط أنه رجل، إشتعلت به نيران شوقه وحبه لليلى الذى يوجد بداخله ولم يمت على مر السنوات، حتى لكونه حب من طرف واحد، كان يهيم بليلى عشقا، لكنه أراد أن يعشقها من خلف الستار، حتى لا ينغص عليها صفو حياتها، ظنا منه أنها تحيا حياة سعيدة هادئة وهنيئة فى ظل زوجها وتحت جناحه ومع بناتها، لكنه لا يعلم أن ظل الزوج ما كان ظل، بل كان عدوا فى ظاهره ظل واقفا خلفها يتربص بها، وجناح الزوج كان جناحا مبتورا والآخر منزوع الريش، لم يبغ أن يظهر لها حبه فحبها كان يملأ عليه حياته ويجعله يستغنى عن نساء العالم برغم وسامته ورجولته الطاغية، لم تستطع أي أنثى أن تحتل مكانة ليلي فى قلب أسامه ، أو أن تزحزح مكانة ليلى بداخل أسامه، إكتفى أن يراها وهى تسير من أمامه وهو جالس على شاطئ النهر، ينتظرها كل يوم ولا يعلم متى ستطل عليه بعبيرها ورشاقتها وأناقتها وسحرها الذى كان يهفو له قلبه، كان حين يراها يخفق قلبه، كأنه يريد أن ينزع نفسه من

صدره حتى يرحل خلفها، مرت السنون وأسامة يعشقها عشق من طرف واحد، حتى أتته الفرصة، قرر أن يتشبث بها ولا ينزعها من بين أنامله مهما حدث ومهما كانت الظروف، قد هلك وجده من إنتظار الفرصة والظرف الملائم لإخبارها عما يدور بخاطره تجاهها، لم يجد أسامة فرصة انسب من هذه الفرصة، ولا مكان ملائم مثل هذا المكان، وجد أن هذا المكان أنسب مكان حتى لا يزعجه ولا يقطع حديثه أحد، هو ينتظر هذه الفرصة من سنوات وسنوات تعب كل منهما من معرفة عددها، بالفعل شرد أسامة قليلا وشردت ليلى قليلا، تظاهرت أنها لم تعرفه قبل سابق.

- **قال أسامه: كيف حالك؟**

- **قالت ليلى: الحمد الله، تقولها بصوت منخفض، كأن فمها لم يرغب بالحديث معه.**

- **قال أسامه: هل تعرفين من أنا؟**

- **قالت ليلى لا، لم أتشرف بحضرتك من قبل، أنا لم أكن من هذه المدينة.**

- **قال أسامه:أعلم أنك لست من هذه المدينة، وأعلم أيضا أنك من عالمى الخاص.**

- **قالت ليلى: ماذا تعنى بعالمك الخاص!؟ هل تعرفني من قبل حتى تقول هذا الكلام.**

- **قال أسامة: بنبره خافته لاتنزعجى هكذا، أنا لم أقصد الإساءة لك، لكنى أقصد أنك من نفس البلدة التى كنت أقيم بها، أذكرك جيدا، أذكر كل شئ عنك وعن عائلتك، أعرف من تكونين جيدا، كأن الزمان توقف بي الآن، لكن السؤال الآن؟**

- **قالت ليلى: حضرتك ربما إختلط عليك الشبه أنا لا أعرفك ولم أسمع عنك مطلقا، لكن ما هو السؤال الذى تريد أن تسأله.**

- **قال أسامة: فى تعجب وإستغراب وإختلط عليه الأمر، لكنه سألها فى غضب وعصبية؟ أحقا لا تعلمين شيئا عنى؟ ولم تذكريني عندما نظرت إلي من الوهلة الأولى إلى وجهى الذى أكل منه الدهر، تارة من عملى ومخاطرة،**

تارة أخرى من حزنى على فراق من يهفو لها قلبى ووجدى.

- قالت ليلى: لم أتذكر أحد أنا أول مرة أتقابل مع حضرتك، لكن السؤال حضرتك لم تسمع أقوالى بخصوص حادث السرقة ؟ أم انهض وأذهب إلى حال سبيلي كأن شيئا لم يكن؟

- قال أسامة: نعم سوف أسمعك، لكن ليس قبل أن تسمعينى أولا، ربما لا أحظى بهذه الفرصة مجددا.

- ليلى: نهضت من فوق المقعد وقالت له فى غضب، لكنى أريد أن أذهب، أنا قادمة من سفر ومريضة، أريد أن أذهب لأستريح قليلا.

- قال أسامة: أنا لا أجبرك على سماعى، لكنى أتوسل إليك أن تسمعينى مرة واحدة فى حياتك، بعدها سوف تذهبين إلى حال سبيلك، حتى لا أندم طيلة حياتى على ضياع هذه الفرصة منى مثل ندمى على ضياع من أعشقها.

- ليلى: جلست ولم تنطق بلفظ واحد، لا قبول ولا رفض.

- أسامه: شعر عندما عادت للجلوس أنها عندها إستعداد لسماعه، دق باب المكتب، أذن للطارق بالدخول فوجده العسكرى، أحضر الليمون والماء الذى طلبه المأمور من أمين الشرطة، طلب منه أسامة أن يضعه أمام ليلى، طلب منه الذهاب وغلق الباب خلفه.

- قالت ليلى: لا لا تغلق الباب، نظر لها العسكرى وتلكأ ونظر للمأمور.،

- قال العسكرى: ماذا أفعل ياافندم، هل أغلق الباب أم أتركه؟

نظر لها أسامة نظرة ترجى وتوسل، أن تدعه يغلق الباب، حتى لا يسمع حديثه أحد، فصمتت ولم تتفوه بلفظ أخر، عندما وجدها صمتت، إستشعر أنها تخشاه وأنها خائفة منه، طلب من العسكرى أن يذهب ويدع الباب كما هو، ذهب العسكرى، نظر لها أسامة نظرة كلها أسى وشجن على حديثها معه، انتابه شعور جارف بالإحباط واليأس بأنها لا تستجيب له أو حتى تشعربه أو

يلمس حديثه قلبها، فتلكأ لحظات وقرر الرجوع عن ما كان يريد أن يحدثها به، لكن قلبه وعقله وكل جوارحه أبت أن تطاوعه، كل ما بداخله يريد أن يخبرها بعذابه طوال هذه السنوات وحرمان قلبه منها فسألها بيأس؟

- **قال أسامة: أحقا لم تعرفى من أنا ومن أكون؟ لماذا تكذبين؟ أنا قرأت فى عينيك أن عينيك تتذكرنى جيدا، حتى وإن كانت تشبه علي، يكفينى أنها مازالت تذكر ملامح وجهى، أنى أعلم جيدا أنك تذكرتينى الأن.**

- **ليلى: صامتة لم تتحدث ولم تتفوه بكلمة واحدة تضمد جراحه أو تروى ظمأه من عطش حنينه لها.**

- **قال أسامة: هل من الممكن أنك لم تشعرين بى؟ هل أنا كنت هواء بالنسبة لك؟ ياليتنى كنت الهواء الذي لم تراه عيناك، ولكن يستنشقه صدرك ، كنت أتمنى ذلك، حتى ألمس وجنتيك وأداعب شعرك الناعم الذى كان يرفرف على كتفيك حين أداعبه، أو عفريت حتى أو شبح، المهم ألا أتركك تغيبين عنى حياتي مطلقا.**

نظرت له ليلى؟ خفق قلبها لسماع هذه النسمات والهمسات التى لم تسمح لأذنها أن تسمعها من أحد، وكانت تهرول من أمام من تشعر من ناحيته أنه معجب بها أو يريد التحرش بها بالألفاظ، كانت مثل النمرة التى تلتهم من يحاول أن يخدش حياءها باللفظ الواحد، لكنها تستمع لأسامة دون إعتراض منها على ما يقوله، قلبها مستمتع للحديث الذى لم يطرق بخاطرها ولا بسماعه ولا بداخلها، كل ما يقوله هى شغوفة لسماعه.

- قال أسامة: هل من الممكن أنك لم ينتابك الفضول لتسألى نفسك من أكون؟ ومن أي عائلة أنتمى إليها، هل لم يشغل تفكيرك سؤال واحد تسألى به نفسك من يكون هذا الكائن الذى يقضى معظم النهار والليل على شاطئ النهر، حتى يخطف منك نظرة واحدة، يخشى الذهاب إلى منزله، خشية منه أن تخرجى ولا يراك، تضيع عليه فرصة النظر إليك، عندما يهل على طيفك من بعيد، أنهض ،وأظل أحوم من حولك، تارة أمامك وتارة أخرى من خلفك ، وتارة أسير بجوارك وأتكأكأ حتى أتجرأ على حديثك وأنت تسيري بسرعة البرق، كأنك تشعرين بى وتهربين من مواجهتى، كنت أشعر بكيانك ووجدانك

وبخفقات قلبك الذى كان ينتفض ويريد أن يهرول إلى صدرى فيحتمى به، كنت أرغب أن تضمك ذراعى حتى أبتعد بك عن عيون المحلقين بك، كنت أرغب أن أضعك بين أهدابى حتى أحميك من نفسى، كنت أسمع صوت أنينك وصوت شغفك بى وهما يتحدثان إلى، كنت أسمع صوتك، أشعر وكأنى أسمع تغريد الكروان، حين قررت وعزمت على أن أبلغك بما أكنه لك من عاطفة وحب وعشق، استعد واشجع كل كيانى بأن يطلب منك أن تنتظرينى سنة واحدة حتى أنهى دراستى فى كلية الشرطة وأحضر أنا ووالدى لطلب الزواج بك، ذهبت إلى المكان المفضل عندى الذى كان يشهد على حبى وعشقى ويشاطرنى أشجانى وحزنى عندما تغيبى عنى بالأيام ولم أراك، كان يرى سعادتى وفرحى حين يهل على طيفك فحين ذاك وجدت أنوار تضيء الطريق المؤدى إلى منزلك فارتعب قلبى وخشيت أن تكون هذه أنوار زفافك، تتبعت الأنوار حتى وجدتها بالفعل أنوار معلقة على منزلكم، سمعت صوت الزغاريد كأنها طلقات من رصاص تستقر فى قلبى ووجدانى فنزف قلبى وذرفت مقلتاي بالدمع لأول مرة، كما تدفق الألم بداخلي من هول تلك الصاعقة التى

هبطت على كيانى كله، حاولت أن أذهب ولكن لم يطاوعنى قلبى وعقلى وروحى وكيانى كله، كل من هما كان يرغب فى أن ينظر لك وأنت فى ثوب الزفاف فى الثوب الأبيض، بالفعل حاولت أن أتلصص بعض النظرات من الوجه الذى كان يشع منه النور مثل القمر، وجدته شاحب وحزين وتطفو علامات الشجن عليه والعيون التى كانت تلمع مثل بريق النجوم وجدتها مظلمة، الوجد الذى كان ينبعث منه الحيوية والنشاط وجدته هزيلا ويظهر عليه المرض، شعرت حين ذلك أنك أرغمت على الزواج من هذا الرجل، لكن ما كان بيدى حيلة حتى أنقذك فقد فات الأوان وقد تأخرت كثيرا، كل شئ أصبح فى خبر كان، بعدها ذهبت ولكن ذهبت ممزق الوجدان والكيان، فى صباح اليوم الثانى، قررت العودة إلى الكلية وأن أقضى بها السنة المتبقية دون العودة إلى القرية، بالفعل ذهبت وقضيت شهور وشهور، كلما أختلى بنفسى تكونين أنت الوسيلة الوحيدة للترفيه عن وجدى، كنت أتذكر نظراتك وأحن لها، لكن كونك أصبحت زوجة لغيرى كل هذه العوائق كانت تمنعنى للإقتراب منك والعودة إلى أهلى كل منهم كانوا يأتون لزيارتى، يتوسلون أن أعود فى فترة

الأجازة مثلما كانت معتادة، فى يوم قالت لى والدتى يابنى أنت كنت تكره يوم ذهابك إلى الكلية لأنك كنت تغيب عنى أسابيع وشهور ويقول والدى نفس الحديث، لكنهم لم يعلموا أنى كنت أكره الرحيل إلى الكلية، لأنها كانت تحرمنى منك ،وبعد تخرجى لم أرغب بالزواج من أى فتاة ولا اسمح لقلبى أن يفتح بابه لأحد غيرك، كنت أنظر لكل فتاة كأنى أنظر لك حتى عدت إلى البلدة، علمت بعدما كنت أفقد أخبارك وأتلصص من قريب لك أنك تركتى القرية وذهبت إلى الصعيد مع زوجك، تأكدت أنى لن أراك مطلقا ومات بداخلى الأمل فى العثور عليك، رحلت إلى عملى فى السويس لسنوات وأنا هائم على وجهى وشغوف للنظر إليك، بعدها تيقنت أن كل ما أفعله هو إنتحار لوجدى، قررت العودة إلى القرية، ثم تزوجت رغما عن إرادتى حتى أستريح من إلحاح والدتى ووالدى، تزوجت إبنة خالى التى عرضتها على والدتي، قبلت الرحيل معى إلى محل إقامتى بالسويس، كنت أراعي الله فيها وأحسن معاملتها أكثر من اللازم لكونها إمتلكت وجدى ولم تمتلك قلبى وروحى فهما ظلوا فى جعبتك أنت وملك لك أنت، قبلوا أم لم يقبلوا تحت ظل عبوديتك أنت، كل هذه الأشياء

كانت تشعرنى بالذنب تجاه زوجتى، لكنى حاولت مرارا وتكرارا على أن أنسى هذا العشق المميت فلم أستطع، لقد زرعها الله داخل حنايا قلبى مثل شجرة الخيزران، هذه حقيقة كل ماحدث لى، من حبك وعشقك وأنت لم يكترث فؤادك لفؤادى ولو للحظه واحده ، حتى قابلتك بعد عودتى من السويس ونقل محل إقامتى ومحل عملي إلى هذه المدينة، وجدتك بعد سنوات وسنوات وأنا أعود من وقت لأخر إلى مكانى الذى أأوى إليه ليذكرنى بك وبنظرات عينيك، لكن قد وهبك الله قلبا مثل حجر الصوان، وعقلا فولاذى ، ووجدانا متجمدا مثل الجليد،

تنظر له ليلى وهى تشعره بصلابتها وعدم ادراكها لما يقوله، وتشعره باللامبالاه ، فتارة تنظر له ، وتاره تضع مقلتيها بالأرض ، ولا تقوم بالتعليق بلفظ واحد حتى تهدئ من روع أسامة، كل ما تفعله هو الصمت الصمت فقط، كأنها تقول له أنا لا أرى لا أسمع لا أتحدث، لكنه مع كل البرود الذي شعر وجدانه منها لم يصمت، ظل يذكرها بما كان يفعله من أجلها.

- قال أسامة: هل تتذكرين عندما تجرأت وتشبثت قدمى أمامك؟ عندما كانت أطفالك معك قبل وفاة والدك بيوم

واحد، وأنت ذاهبة إلى منزلك، كنت أرغب أن تلمس أناملك وجدى حين تنحينى جانب بيديك لكنك لم تفعلى ذلك ولم ترغبى حتى بمعرفة من يعترض طريقك؟ لم أشعر بقدمى ووجدانى وهما يتبعاك ويسيرا خلفك حتى دخلت منزلك، عاد كل مابداخلى إلى سكنه فى الجب الذى أعدته له، ولكن عاد كل شئ وأنا فاقد الأمل وقاطع الرجاء فى أن تشعرى بكيانى، قررت من ذلك الوقت ألا أعترض طريقك مرة أخرى وأتركك لعائلتك ولبناتك، ولزوجك الذى حظى بك تستمع ليلى ولم تنظر إليه نظرة واحدة، تشبثت قدماها بالأرض ولم تقو على النهوض حتى ترحل من أمامه، خشيت أن تشعره بضعفها أمامه وأمام فيضان مشاعره التي إنتقلت مثل الإعصار ، فينطق لسانها دون إرادتها بماتخشى أن تخبره به فتندم عليه بعدما يذهب عنها هذا الشعور، وتعود لما كانت عليه من فناء ودمار وموت لجميع ما بداخل وجدها، ظلت صامتة، ويظهر على ملامحها الخجل الإستحياء من حديثه، تتدفق الدماء من وجنتيها وترتعش شفتاها، يرتعد وجدها، لكنها لم ترغب فى قطع حديثه فهى تستمتع به، لم تظهر له ذلك، لكنه يشعر بكيانها الذى ينتفض من حمائم وجدانه وكيانه الذى

نشب به نيران عشقه الخامد كالبراكين التى تنفجر من باطن الأرض بكل حممها ، لكن سرعان ما تناثرت حمائمه بداخلها دون إرادتها وأصاب قلبها شظيه من بركان عشقه ، ظلت تقاوم بكل ما أوتي وجدانها من قوة هذه المشاعر والإحاسيس التى تتناثر من بين شفتى أسامة والتى تشعر صدق مشاعره تجاهها، لكن سرعان ما إستيقظت ليلى من شرودها عندما دق باب المكتب، فتح الباب الطارق دون أن يؤذن له بالدخول ، فوجدته ضابط أخر، أستأذنت وذهبت دون أى ردة فعل منها وبدون أن يظهر على ملامحها أى علامة تجعله يشعر بالإطمئنان أو تهدئ من روعه، خرجت وهى تسابق الريح، نظر لها الضابط وهى تهرول من أمامه دون أن ترد حتى السلام.

- قال الضابط رؤوف: من هذه الغاده الحسناء ياأسامة؟ يقولها ويبدو عليه علمات التعجب وينتابه الدهشة من موقف خروجها، أجب ياأسامة من هذه السيدة، لماذا تهرول هكذا؟

- قال أسامه:هذه أنثى فى عينيها بريق الطبيعة وينبع من وجدها شلالات الأنوثة، ينابيع الجمال تتفجر من

رشاقتها وأناقة وجدها، أنثى سكن بداخلها قدر والشجن والآهات، يسكن من بين أهدابها أهات وأهات، كلما تنظر إلى وجهها تجد القمر مرسوم عليه، تنظر لمقلتيها ترى ضوء النجوم، تنظر لقوامها تجد قوام ممشوط مثل قوام الغزلان، تستنشق من عبير رحيقها عبير حديقة غناء تعطى ولا تبالى، تضحى بوجدها دون أن تكترث للألم، تبكى دون أن تدرى، يذرف من مقلتيها قطرات الندى، صادقة مع نفسها لكنها تتظاهر بغير ذلك مع الأخرين، مغرورة، متكبرة، عندها كبرياء وشموخ يكفى العالم كله بأسره، ظلمها النصيب وظلمها والدها وظلمها زوجها، ظلمها القدر حين وضعها فى هذا الإختبار الصعب التى إجتازته بنجاح.

- قال رؤوف: كفى كفى، أنا أرى أنها إمرأة عادية جدا، لكن عندك بعض الحق، هى لديها ثقة بالنفس.

- قال أسامة: لو نظرت لها بمقلتي هاتين لرأيتها كما يجب أن يكون وصدقت فيها ما أقوله وسوف تتأكد أن هذا الوصف ضئيل عليها.

- قال رؤوف: هل تعرفها من قبل؟

- قال أسامه: نعم فهى حب حياتى كله؟

- قال رؤوف: لماذا لم تتزوجها إذن وأنت تكن لها كل هذا العشق؟

- قال أسامه: هذه رواية طويلة، لا يوجد عندنا وقت الآن.

- قال رؤوف: لا بل عندى وقت فأنا شغوف أن أسمعها.

جلس أسامة يروى كل الرواية لرؤوف، قص عليه ما توصل له من ظروفها بعد زواجها، كيف تحملت مرضها وقسوة زوجها وقسوة الظروف التى وضعتها فى ظل هذا الزواج الذى وأدت به شبابها وجمالها وأنوثتها من وجهة نظرها.

- قال رؤوف: ومن أخبرك كل تفاصيل حياتها،

- أسامه : أخبرني صديق لزوجها كان دائما يشكو منها له، يصفها بالجمود وأنها مثل الرجال، أنها لم تكن أنثى.

- قال رؤوف: أنت تعرف صديق زوجها من أين؟

- قال أسامة: صديق زوجها هو إبن عمى فؤاد، بالصدفه ذهبت لزيارته فوجدت زوجها هناك وسمعت منه بعض الكلمات وهو يسبها ويقذفها أمام صديقه، بدون مجهود منى وضع إبن عمى كل أخبارها التى نقلت له من زوجها له والتى حضر فى حل مشاكلها، وهو يقول أن صديقه لا يستحق أن يكون زوجا لهذه السيدة، قام بالثناء عليها كأنه عاشق لها، ظل يروى لى عن أخلاقها وأدبها وكبريائها ظنا منه أنى لا أعرفها، برغم شجنى وألمى على ما أسمعه إنتابتنى الغيرة عليها من حديث فؤاد ابن عمى، لكنى وضعته فى موضع المتهم، وسلطت عليه خبراتى فى التحقيق كضابط شرطة حتى علمت عنها كل شئ حتى لاحظ فؤاد.

- قال فؤاد: هل تستجوبنى ياحضرة الضابط؟

- ابتسمت وقلت له لماذا أستجوبك أنت صرصار وتفشى أسرار صديقك

- قال فؤاد: أخبرك الحقيقة، أنا أحتقره ومرارا وتكرارا أتهرب من قابلته لكنه يصر على مقابلتى.

- قال أسامة: علمت أنها مظلومة معه، فؤاد أنا حضرت لهم بعض المواقف مع والدها وعمها وأخيها، كانت عندما تدافع عن نفسها، تشعر وكأنها تندم أنها تتحدث مع البشر، هى دائمة الشكوى لرب البشر، من وقت هذا الحديث وإندلع بوجدى نيران عشقها من جديد، كأنها لم تخمد لحظات، عادت نيران هذا الحب، مثل نيران جهنم تأكل من عظمى ووجدى دون أن تبلى جلدي، أصبحت أستمتع بعذابى وحرمانى منها وكأنى أشاطرها عذابها وألامها.

- قال رؤوف: من أجل ذاك العذاب تتعرض لها هى وبناتها، ومن أجل هذا العذاب إستغليت فرصة وجودها فى مكتبك رغما عنها، أجبرتها على سماع حديثك الذى لم أجد له أثر على وجهها.

- قال أسامه: نعم ياصديقى، أنا أعشقها وأريد أن تشعر بى.

- قال رؤوف: منزلك وأطفالك وزوجتك التى تحملت معك ظروف عملك ومخاطرته.

- قال أسامة: نعم، صعوبة الأمر أنها إبنة خالى، لن أقدرعلى ظلمها وتركها، لكنى سوف أموت إن لم أتزوج من ليلى.

- قال رؤوف: إعتبر أنك لم تقابلها وانك لم تعرف شيئا عنها.

- قال أسامة: بعدما اعترفت لها بكل شئ فى داخلى، سوف تقول عنى أننى أخدعها وأنصب عليها حتى أبتز مشاعرها.

- قال رؤوف: لا، إطمئن فأنثى مثل التى تحكى لى عنها سوف تسعى جاهدة على ألا تجعلك تراها مرة واحدة ولا للحظات، أنت ياصديقى قد إسترحت عندما رويت لها وتحدثت معها، دعها يا صديقى وشأنها ولا تزيد عذابها وآلامها وحزنها، إلتفت لعملك ولمنزلك، هيا معى عندنا مرور على غرف الحجز،

- ليلى : الآن تتصارع مع نفسها.

ذهبت ليلى إلى منزلها وظلت تحدث نفسها وهى فى طريقها إلى المنزل، قررت أن تنسى كل ما سمعت، كأن شيئا لم يكن،

ظلت شاردة حتى دخلت المنزل، وجدت عبير وعلياء بمفردهما فى غرفتهما، فاطمأنت عليهما من على باب الغرفة، ذهبت إلى غرفتها حتى تستبدل ملابسها، توجهت مباشرة إلى سريرها ووضعت حقيبتها وألقت وجدها على السرير حتى تستريح من عناء النهار، خلدت للنوم كما تعودت نصفها العلوي على حافة السرير والأسفل يلمس الأرض ، حتى يهرب عقلها من التفكير فيما تعرضت له اليوم من سرقة، والعودة إلى الماضى وقصة حب لم تعلم عنها شيئا ، فذكرها حديث أسامه عن ما كانت تكنه له من مشاعر مراهقه ، فكل ما تشعر به تجاه أسامة مشاعر طفلة مراهقة، تجد من يشغل تفكيرها للحظات، ثم تعود إلى المنزل سعيدة بتلك النظرات التى كادت تشبع رغبات سن المراهقة، سرعان ما نسيت كل شئ بعدما مرت بأزمة زواجها ولم تفكر بشئ على الإطلاق، لكنها بعدما إستيقظت، راودتها الأفكار حول مساعدة الله لها، أنه يسخر لها من يعيد لها ثقتها بنفسها ويساعدها على تخطى الصعاب ويضع قدميها على المحك، حتى تجتاز معنوياتها أزماتها وتستطيع أن تواجه أزماتها بصلابة وإقدام.

بعد مرور الأيام والشهور، لم ترغب ليلى قط فى رؤية أسامة، فعلت معه مثلما فعلت مع محمود صديق زوجها، ابن أخو العمدة الذي كانت تقيم بمنزله، تجاهلت كل شئ وتجاهلت حديثهما، بالفعل شغلها تدبير الله حين أرسل لها الشيخ عند حادث القطار، الآن أرسل لها أسامة، حتى يبث بوجدها الثقة بالنفس، يشعرها أن وجدها مازال ينبض بالحيوية والنشاط وتشعر أن لها قلبا ينبض وروحا تهيم حول مبهجات الحياة، يشعرها بأنوثتها وأنها مازالت على قيد الحياة.

بعد هذه المقابلة بشهور من مقاطعة أسامه ،

حاول أسامه مقابلتها وتتبع خطواتها حتى يتحدث معها، بالفعل عندما وجد الفرصة الملائمة للحديث ، تحدث معها مجدد ، لكنها رفضت حبه وترجته أن يصبحا صديقان وأخوان وليس غير ذلك، قرر أن يدفن مشاعره وأحاسيسه بها داخل ثنايا قلبه ولا يظهرها لها غير في نظرات عينه قبل أسامه طلبها، حتى لا يخسرها مرة أخرى واكتفى بوجودها فى حياته أختا وصديقة.

بعد عدة سنوات على هذه العلاقة الطاهرة التي لم تشبها شائبه الرزيله ولا المعصية،

إستيقظت ليلى على صوت المنادى وإذاعة خبر وفاة الضابط أسامة فى حادث مرير قد حدث إنفجار مروع فى كمين شرطه تناولته يدا آثمه ،فراح ضحيته هو ومن معه من القوة التى كانت فى الكمين الذى يأمنوه، تمزق وجدانه وأصبح أشلاء، خرت ليلى على ركبتيها فى بهو المنزل وظلت تبكى بصوت عالى، سمعتها عبير وعلياء، وخرجتا مسرعتين وهما فى حيرة من أمرها ومن أمر بكائها وإنهيار وجدها.

سألتها البنات عما يبكيها، لم تقل شيئا، لم تعرف ماذا تخبرهم، لكنها تماسكت بعض الشئ حتى لا يلاحظوا حزنها الشديد على فراق الأخ والصديق وحصن الأمان ،إنهارت في منزلها التي تقيم به، نظرت لها عبير ، نظرة كلها فضول ، فقد أصبحت فتاة جامعيه ناضجة.

- قالت عبير: مايبكيك يا أمى؟ لم أرك تبكين هكذا من وقت وفاة جدى.
- قالت ليلى: أبكى نفسي وحالي ياعبير.
- قالت عبير: من هذا الضابط الذى سمعنا إسمه ، فالمنادى ينادى عليه بوفاته؟

- **قالت ليلى: هل تتذكرين الرجل الذى قابلناه قبل وفاة جدك بيوم واحد؟**

- **قالت عبير: نعم ياأمى أتذكره جيدا ولم أنس نظرات عيناه لك.**

- **قالت ليلى: هذا هو الذى وافته المنية اليوم.**

- **قالت عبير: ولماذا تبكيه هكذا؟**

- **قالت ليلى: لا ياحبيبتى، تذكرت أنه كان رجل طيب وكريم وشجاع وضحى بحياته من أجلنا نحن وترك أولاده وزوجته ينهش الحزن أحشائهم.**

علمت عبير أن ليلى تخفى عليها شئ مهم وأنها تعرف هذا الرجل جيدا، لكنها تعرف أمها جيدا، أنها لا يمكن أن تخطئ فى حق نفسها أو تسيء لسمعتها تحت أى ظرف من الظروف، أنها بالفعل مثل الرجال يوجد عندها مايجعلها تخشى على نفسها وعلى بناتها، وهو إيمانها بالله ،

ولكن سرعان ما حزنت عبير على حال ليلى، فتعاطف عبير وعلياء مع أمهم يشعرها أنها نجحت فى إحتواء وجدان الفتيات.

بعد هذا الحادث بشهور، تيقنت ليلى أنها أصبحت وحيدة، كل من يحبها خطفهم الموت منها، كالعادة، قاومت أحزانها بشجاعة وقوة حتى تحقق هدفها، بالفعل بعد شهور تخرجت عبير من الجامعة وبتقدير إمتياز، شرعت فى تحضير الدراسات العليا، تقدم لها من يرغب بالزواج بها، وافقت بمحض إرادتها دون إرغام من أحد على قرارها، بعدها بسنة واحدة، تخرجت علياء من الجامعة بتقدير جيد جدا، تزوجت وأنجبت كل منهما صبى وفتاة، أصبحت ليلى جدة وهى فى الأربعينات من عمرها، وجدت أن عمرها تسرسب من تحت قدمها وهى لم تشعر به، وجدت نفسها وحيدة وهى فى وسط ملايين من البشر، وقفت أمام مرأتها تحدث نفسها،

- قالت ليلى: أرى نفسى من نافذة الظلم، إمرأة تمشى على جمر النار وعلى طريق الشوك دون أن تبالى، لم يكتب لى القدر أن أكون أنثى لها كل حقوق الأنوثة ككل الفتايات، إغتالتها العادات والتقاليد، أصبحت سيدة لا تعرف سوى الأهات والألام، لكنها لم تستسلم كعادتها، قررت الخروج من تحت سياط الجلاد، قررت الذهاب إليه

حتى تطلب منه حريتها وفك وثاقها، أن يعطيها صك حريتها من عبوديتها له، لكنه رفض كعادته.

- قالت ليلى: لماذا ترفض حريتى؟ لقد أكل الدهر من وجدى وأنا فى ظل عبوديتك، ألم يأن الأوان أن تطلق سراحى، لقد أتممت مهمتى على أكمل وجه، قمت بتربية بناتك وجعلهم الله من أحسن البنات.

- قال أحمد: لن أتركك تهنئين مع رجل آخر.

- قالت ليلى: لم يعد فى العمر عمر حتى أعطيه لأحد فقد أصبحت بقايا أنثى على يدك.

- قال أحمد: لن أتركك قلت لك مرارا وتكرارا لن أتركك، حتى توافيكى المنية، أو يذهب عقلك.

- قالت ليلى: هل أنا الأن على قيد الحياة؟ لقد وافتنى المنية من يوم زواجى بك.

- قال أحمد: لكنك مازلتى قوية ولم ينكسر شموخك ولا كبريائك ولا غرورك، بل تزدادى صلابة مع مرور السنوات

وجدت ليلى أنها تضيع الوقت، فى الحديث معه دون جدوى ودون رجاء، ذهبت إلى المحامى حتى ترفع على أحمد قضية خلع، بالفعل بعد بضعة أشهر من رفع الدعوة، أعطاها القاضى حريتها التى حرمت منها على مر سنوات طوال، كانوا لها سنوات قحط وجفاف وسنوات العجاف، قررت أن تبدأ حياتها من جديد فى ظل بناتها وأزواجهن الذين عوضها الله بهم، فى النهاية كافأها الله بالحج أولا ونجاحها فى حياتها العملية، بعدما أصبحت شخصية عامة ذى منصب مرموق، وكانت على يقين أن الله لم ولن يضيعها، كان بداخلها حسن الظن بالله دائما وأبدا تتفوه شفاها بهذه الأية {إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا } لم تندم مطلقا على تضحيتها بقتل نفسها من أجل بناتها، كل مافعلته واجب يحتم عليها فعله.

فى يوم وقفت أمام المرآة لتحدث نفسها، بعدما جاء خريف العمر وتساقطت أوراقه الجافه ،وجدت أن مازال في العمر بقية، ولحق بها ربيع العمر مره أخرى لتستعيد أوراق الحياه خضارها برونقها وحيويتها ، سمعت روحها تناديها،

- وتحدثها قائلة:

أنـــاشــد روح تــهــوانـــى

أنــا دنـيـــايــا نــادتـــنـــى

ولا أعـلـم مـن الجانى

فطول العمر فى قهر

بــأفــراحى وأحــزانـــى

يلهو كيفما يهوى

مـرار الظـلـم بلسـانى

فظل المر فى حلقى

ورمـح الـكـبر أنسانى

فـسيف العند قاتلـنى

لنفس تهوى أحـزانى

ذاك الـوعـد أتـركـه

فى قـلـب كـل إنسانى

سهام الـرمـش ألقـيها

فى قلب كل إنسانى
طبول الثأر قد دقت
وأناشد كل خلانى
سأجمع كل أحلامى
كأشباح وشيطانى
لن أحيا بلا روح
سأسكن كل أوطانى
ولم أحيا بلا وطن
لنفس تهوى أشجانى
وهذا الوعد أتركه
ملاك هز وجدانى
سأعشق قلب يعشقنى
ويطرح أحلى أنغامى
وأعزف لحن يحيينى
بعشقه لدماء شريانى

جـراح الـقـلـب يـشـفـيـها

سـأحـضـن كـل أكـفـانـى

إذا مـا كـان لـى حضنـن

وأصبـح رهـن أزمانـى

خـريف العمر لا حقنى

ويـمـحـى كـل حـرمانى

فهـل مـن قـلـب يـحـيـيـنـى

أنـاشـد قـلـب يـهـوانـى

فـأنـا دنـيـايا نـادتـنـى

أصـاحـب حـتـى أشجانى

أنــا دنـيـايـا أمـرتـنـى

أنــاجـى كـل حـيـرانـى

أنــا دنـيـايـا أمـرتـنـى

تمت بحمد الله

تحياتي

الكاتبة والأديبة

هند الهلاوى